



مجلة بحوث الشرق الأوسط



مجلة علمية محكمة (معتدلة) شهرية
يصدرها مركز بحوث الشرق الأوسط

السنة الثامنة والأربعون - تأسست عام ١٩٧٤

العدد التاسع والسبعون (سبتمبر ٢٠٢٢)

الترقيم الدولي: (2536-9504)

الترقيم على الإنترنت: (2735-5233)



لا يسمح إطلاقاً بترجمة هذه الدورية إلى أية لغة أخرى، أو إعادة إنتاج أو طبع أو نقل أو تخزين. أي جزء منها على أية أنظمة استرجاع بأي شكل أو وسيلة، سواء إلكترونية أو ميكانيكية أو مغناطيسية، أو غيرها من الوسائل، دون الحصول على موافقة خطية مسبقة من مركز بحوث الشرق الأوسط.

All rights reserved. This Periodical is protected by copyright. No part of it may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without written permission from The Middle East Research Center.

الأراء الواردة داخل المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها وليست مسئولية مركز بحوث الشرق الأوسط والدراسات المستقبلية

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية : ٢٤٣٣٠ / ٢٠١٦

الترقيم الدولي: (Issn :2536 - 9504)

الترقيم على الإنترنت: (Online Issn :2735 - 5233)



مجلة بحوث الشرق الأوسط

مجلة علمية محكمة
متخصصة

في تطلُّون التترق الأوسط

مجلة معتمدة من بنك المعرفة المصري



موقع المجلة على بنك المعرفة المصري

www.mercj.journals.ekb.eg

- معتمدة من الكشف العربي للاستشهادات المرجعية (ARCI). المتوافقة مع قاعدة بيانات كلاريفيت Clarivate الفرنسية.
- معتمدة من مؤسسة أرسيف (ARCIf) للاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية ومعامل التأثير المتوافقة مع المعايير العالمية.
- تنشر الأعداد تباعاً على موقع دار المنظومة.



العدد التاسع والسبعون - سبتمبر ٢٠٢٢

تصدر شهرياً

السنة الثامنة والأربعون - تأسست عام ١٩٧٤

مطبعة جامعة عين شمس
Ain Shams University Press





مجلة بحوث الشرق الأوسط (مجلة مُعتمدة)
دورية علمية مُحكّمة (اثنا عشر عددًا سنويًا)
يصدرها مركز بحوث الشرق الأوسط والدراسات المستقبلية

إشراف إداري
عبيد المنعم
أمين المركز

سكرتارية التحرير

ناهد مبارز رئيس وحدة النشر
راندانوار وحدة النشر
زينب أحمد وحدة النشر
رشا عاطف وحدة النشر
أمل حسن رئيس وحدة التخطيط والمتابعة
المحرر الفني
ياسر عبد العزيز رئيس وحدة الدعم الفني
إسلام أشرف وحدة الدعم الفني
تنفيذ الغلاف والتجهيز والإخراج الفني للمجلة
وحدة الدعم الفني

تدقيق ومراجعة لغوية
أ.د. نبيل رشاد أ.د. عاشور محمود
د. تامر سعد الحيت
تصميم الغلاف أ.د. وائل القاضي

رئيس مجلس الإدارة

الأستاذ الدكتور / غادة فاروق

نائب رئيس الجامعة لشئون المجتمع وتنمية البيئة

ورئيس مجلس إدارة المركز

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور / أشرف مؤنس

مدير مركز بحوث الشرق الأوسط

والدراسات المستقبلية

هيئة التحرير

أ.د. محمد عبد الوهاب (جامعة عين شمس - مصر)
أ.د. حمدنا الله مصطفى (جامعة عين شمس - مصر)
أ.د. محمد عبد السلام (جامعة عين شمس - مصر)
أ.د. وجيه عبد الصادق عتيق (جامعة القاهرة - مصر)
أ.د. أحمد عبد العال سليم (جامعة حلوان - مصر)
أ.د. سلامة العطار (جامعة عين شمس - مصر)
لواء د. هشام الحلبي (أكاديمية ناصر العسكرية العليا - مصر)
د. محمد عبد الباسط العناني (جامعة عين شمس - مصر)
أ.د. محمد يوسف القريشي (جامعة تكريت - العراق)
أ.د. عامر جاد الله أبو جيلة (جامعة مؤتة - الأردن)
أ.د. نبيلة عبد الشكور حساني (جامعة الجزائر ٢ - الجزائر)

توجه المراسلات الخاصة بالمجلة إلى: أ.د. أشرف مؤنس، رئيس التحرير
البريد الإلكتروني لوحدتنا النشر: merc.pub@asu.edu.eg

• وسائل التواصل:

جامعة عين شمس - شارع الخليفة المأمون - العباسية - القاهرة، جمهورية مصر العربية، ص.ب: 11566
تليفون: 24662703 (+202) فاكس: 24854139 (+202) (موقع المجلة موبايل/واتساب): 01098805129 (+2)
ترسل الأبحاث من خلال موقع المجلة على بنك المعرفة المصري: www.mercj.journals.ekb.eg
ولن يلتفت إلى الأبحاث المرسلة عن طريق آخر



مجلة بحوث الشرق الأوسط

- رئيس التحرير أ.د. أشرف مؤنس

- الهيئة الاستشارية المصرية وفقاً للترتيب الهجائي:

- أ.د. إبراهيم عبد المنعم سلامة أبو العلا
- أ.د. أحمد الشربيني
- أ.د. أحمد رجب محمد علي رزق
- أ.د. السيد فليفل
- أ.د. إيمان محمد عبد المنعم عامر
- أ.د. أيمن فؤاد سيد
- أ.د. جمال شفيق أحمد عامر
- أ.د. حمدي عبد الرحمن
- أ.د. حنان كامل متولي
- أ.د. صالح حسن السلوت
- أ.د. عادل عبد الحافظ عثمان حمزة
- أ.د. عاصم الدسوقي
- أ.د. عبد الحميد شلبي
- أ.د. عفاف سيد صبره
- أ.د. عفيفي محمود إبراهيم
- أ.د. فتحي الشرقاوي
- أ.د. محمد الخزامي محمد عزيز
- أ.د. محمد السعيد أحمد
- لواء/ محمد عبد المقصود
- أ.د. محمد مؤنس عوض
- أ.د. مدحت محمد محمود أبو النصر
- أ.د. مصطفى محمد البغدادى
- أ.د. نبيل السيد الطوخي
- أ.د. نهى عثمان عبد اللطيف عزمي
- رئيس قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة الإسكندرية - مصر
- عميد كلية الآداب السابق - جامعة القاهرة - مصر
- عميد كلية الآثار - جامعة القاهرة - مصر
- عميد كلية الدراسات الأفريقية العليا الأسبق - جامعة القاهرة - مصر
- أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر - كلية الآداب - جامعة القاهرة - مصر
- رئيس الجمعية المصرية للدراسات التاريخية - مصر
- كلية الدراسات العليا للطفولة - جامعة عين شمس - مصر
- عميد كلية الحقوق الأسبق - جامعة عين شمس - مصر
- وكيل كلية الآداب لشئون التعليم والطلاب - جامعة عين شمس - مصر
- أستاذ التاريخ والحضارة - كلية اللغة العربية - فرع الزقازيق
- جامعة الأزهر - مصر
- عضو اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة
- كلية الآداب - جامعة المنيا،
- ومقرر لجنة الترقيات بالمجلس الأعلى للجامعات - مصر
- عميد كلية الآداب الأسبق - جامعة حلوان - مصر
- كلية اللغة العربية بالمنصورة - جامعة الأزهر - مصر
- كلية الدراسات الإنسانية بنات بالقاهرة - جامعة الأزهر - مصر
- كلية الآداب - جامعة بنها - مصر
- نائب رئيس جامعة عين شمس الأسبق - مصر
- عميد كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية - جامعة الجلالة - مصر
- كلية التربية - جامعة عين شمس - مصر
- رئيس مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار بمجلس الوزراء - مصر
- كلية الآداب - جامعة عين شمس - مصر
- كلية الخدمة الاجتماعية - جامعة حلوان
- قطاع الخدمة الاجتماعية بالمجلس الأعلى للجامعات ورئيس لجنة ترقية الأساتذة
- كلية التربية - جامعة عين شمس - مصر
- رئيس قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة المنيا - مصر
- كلية السياحة والفنادق - جامعة مدينة السادات - مصر

العدد التاسع والسبعون

- الهيئة الاستشارية العربية والدولية وفقاً للترتيب الهجائي:

- أ.د. إبراهيم خليل العلاف جامعة الموصل - العراق
- أ.د. إبراهيم محمد بن حمد المزيتي كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - السعودية
- أ.د. أحمد الحسو جامعة مؤتة - الأردن
- أ.د. أحمد عمر الزيلعي مركز الحسو للدراسات الكمية والتراثية - إنجلترا
- أ.د. عبد الله حميد العتابي جامعة الملك سعود - السعودية
- أ.د. عبد الله سعيد الغامدي الأمين العام لجمعية التاريخ والأثار التاريخية
- أ.د. فيصل عبد الله الكندري كلية التربية للبنات - جامعة بغداد - العراق
- أ.د. مجدي فارح جامعة أم القرى - السعودية
- أ.د. محمد بهجت قببسي عضو مجلس كلية التاريخ، ومركز تحقيق التراث بمعهد المخطوطات
- أ.د. محمود صالح الكروي جامعة الكويت - الكويت
- أ.د. محمد بهجت قببسي رئيس قسم الماجستير والدراسات العليا - جامعة تونس ١ - تونس
- أ.د. محمود صالح الكروي جامعة حلب - سوريا
- أ.د. محمود صالح الكروي كلية العلوم السياسية - جامعة بغداد - العراق

- *Prof. Dr. Albrecht Fuess* Center for near and Middle Eastem Studies, University of Marburg, Germany
- *Prof. Dr. Andrew J. Smyth* Southern Connecticut State University, USA
- *Prof. Dr. Graham Loud* University Of Leeds, UK
- *Prof. Dr. Jeanne Dubino* Appalachian State University, North Carolina, USA
- *Prof. Dr. Thomas Asbridge* Queen Mary University of London, UK
- *Prof. Ulrike Freitag* Institute of Islamic Studies, Belil Frie University, Germany

محتويات العدد ٧٩

الصفحة	عنوان البحث
	• الدراسات الأثرية:
٣٢-٣	١- استخلاص مواد النانوسليلوز من تخليق كل من ألياف القطن السليلوزية وبلّورات السليلوز الدقيقة واستخدامها في التقوية التدعيمية للأوراق الشفافة الباحثة/ مروة سيد محمد أبو الليف أ.د. أماني محمد كامل أبو كرورة أ.د. وفيفة نصحي وهبة د. أحمد عون
	• الدراسات التاريخية:
١٠٠-٣٥	٢- الجاسوسية والصراع بين الدول الكبرى قضية تجسّس روسية داخل الأراضي العثمانية عام ١٨٥٣م نموذجًا من واقع الوثائق العثمانية د. أسهمان مصطفى توفيق خليل
١٤٤-١٠١	٣- فاروق الشرع وشهادته حول مؤتمر السلام العربي - الإسرائيلي في مدريد ١٩٩٠-١٩٩٢ م.د. لمياء مالك عبد الكريم الشمري
١٩٦-١٤٥	٤- موقف الولايات المتحدة الأمريكية من سياسة إيران النفطية (١٩٧٣ - ١٩٧٦) د. أحمد السيد أحمد عبد الرؤف
	• دراسات اللغة العربية:
٢٢٤-١٩٩	٥- الحجاج والملفوظات النصية في رواية: «الأحمر والأصفر» للروائي حسين العبري الباحثة/ معصومة علي مرزوق العجمي

تابع محتويات العدد ٧٩

• دراسات علم الاجتماع:

- ٦- الأبعاد الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لاستراتيجيات الدولة الخاصة بتطوير التعليم ما قبل الجامعي «دراسة سوسيولوجية» ٢٨٦-٢٢٧
- الباحثة/ إيمان رأفت فتحي بدر

• الدراسات القانونية:

- ٧- إنهاء الخدمة العامة للموظف ٣١٦-٢٨٩
- د. عثمان زعل فارس المعاينة
- ٨- وسائل الرقابة على تمويل الحملات الانتخابية «دراسة مقارنة» ٣٥٠-٣١٧
- الباحث/ ياسر دسوقي السيد بدوى المكاي

• الدراسات اللغوية:

- 1- MEDIATING ROLE OF SOCIAL NETWORKING
BETWEEN DOMESTIC VIOLENCE AND EMOTIONAL
DIVORCE 1-42**
- Dr.Jawad Abdulredha Abdulrazaq Alqallaf

الْجاسوسِيَّةُ
والصِّراع بين الدُول الكُبْرَى
قضيةُ تجسُّسٍ روسيةٍ داخلَ الأراضي العثمانية
عام ١٨٥٣م نمُوذجًا من واقع الوثائق العثمانية

د. أسمهان مصطفى توفيق خليل
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد - كلية الآداب
بجامعتي بني سويف بمصر والملك فيصل بالسعودية



www.mercj.journals.ekb.eg

الملخص:

البحث الذي بين أيدينا يتضمّن نموذجًا لحدّثٍ من الأحداث الخطيرة في مجال الجاسوسية بين روسيا القيصرية والدولة العثمانية، ممّا كان له تأثيرٌ مهمٌّ في تطوُّر الأمور بينهما عام ١٨٥٣م في خِصِّمِ حربِ القرم التي أطلقتها روسيا ضدَّ الدولة العثمانية في العام المذكور في محاولةٍ لتقسيم ممالكها، وزيادة النفوذِ الروسي الاقتصادي والديني والجغرافي، كذلك تُلقِي الدراسة الضوءَ على بعض المعلومات، التي تُعطي فكرةً عن عالم الجاسوسية الخفيِّ والمُثير، وأوضّحت الدراسة أن الجاسوس هو الشخصُ الذي يعمل في الخفاء، أو تحت شعارٍ كاذبٍ؛ ليحصلَ على معلوماتٍ عن العمليات العسكرية لدولةٍ مُحاربة، بهدف إيصالها لدولةٍ أخرى تُعاديها؛ لتعزيز جبهتها، ولخدمة مصالحها السياسية والاستراتيجية، كما أظهرت النتائجُ أن الجاسوسية مسألةٌ تحوى عددًا من التناقضات. وتكمن أهمية هذا البحث في أنه وثائقي من الدرجة الأولى، يعتمدُ على الوثائق العثمانية، المحفوظة بالأرشيف العثماني التابع لرئاسة الجمهورية التركية بإسطنبول، والتي تكشفُ السياسةَ التي انتهجتها روسيا ضدَّ الدولة العثمانية من خلال الحقائق التاريخية، كما تتجلّى أهمية البحث في إبراز مظاهر العداء بين الإمبراطورية الروسية، والإمبراطورية العثمانية في القرن التاسع عشر، ومعرفة قوّة الشعوب والأمم، ومدى ازدهارها، أو اندثارها، والسَّعي الحثيث من قِبَل الأقوياء للسيطرة، وتحديد المصير بكافة السُّبل، مشروعةً كانت أم لا.

**Abstract:**

This research includes a pattern of one of the most important events in the field of the espionage between the Russian Tsarist and the Ottoman Empire which has a great role in the development of events between them in 1853 AD. Through the Crimean war that Russia launched against the Ottoman Empire in the attempt to divide its kingdoms and increase the Russian economic, religious, and geographical influence. This research also sheds lights on the hidden and exciting world of espionage and showed that the spy is the person who works in a hidden way or under a false slogan to get information about. Military operations of a warring country to deliver it to the hostile country to strengthen its situation and to serve its political and strategic interests. The results showed that the espionage issue contains many contradictions. The importance of this research is based on that it's documentary from the first class that depends on Ottoman documentaries which found in the Ottoman archives Affiliated to the Turkish Republic in Istanbul and that reveals Russia's policy against the Ottoman Empire through historical facts. The importance of This research appears also in showing the manifestations of hostility between the Russian Empire and the Ottoman Empire in the nineteenth century and knowing the power of people and nations, and the extent of their prosperity and extinction, and the continuous pursuit by the powerful to control and determine the fate by all means whether legitimate or not.

مقدمة:

المعرفة قوّة، والقوّة أتمنُّ الأشياء لدى الدول لحماية وجودها وأمنها وكيانها، ومن هذه الثوابت انطلقت غالبية الدول لبناء أجهزة للأمن والاستطلاع، أو للمخابرات، والتي تتطلّب جمع المعلومات في المجالات كافة العسكرية، والسياسية، والاقتصادية، والعلمية، بشتّى الوسائل الممكنة، وأيسرها التجسس التقليدي بالأفراد والعلماء، وهي بالطبع عمليات خطيرة وخفيّة وباهظة التكاليف، ومليئة بالتنافس والصراعات، وتقتضي خبرة عالية وسريّة بالغة، ورؤية شاملة، فضلاً عن عددٍ من المهارات لإدراك مجرى الأحداث والثدرة على استخراج الدلالات من المعلومات المجمّعة، فالخطأ في تفسير موضوع مُعيّن، من الممكن أن يسبّب الحروب والكوارث.

والبحث الذي بين أيدينا يتضمّن نموذجًا لحدثٍ من الأحداث الخطيرة في مجال الجاسوسية بين روسيا والدولة العثمانية، ممّا كان له تأثيرٌ مهمٌّ في تطوّر الأمور بينهما عام ١٨٥٣م، مع بعض المعلومات الأخرى، التي يمكن أن تعطي فكرةً سريعةً عن هذا العالم الخفيّ والمُثير.

وقد وقع الاختيارُ على قضية تجسسٍ فيما بين الدولة العثمانية وروسيا القيصريّة؛ نظرًا للعداوة التقليدية بينهما، والتي ترجعُ إلى عدّة عوامل، منها التجارية، والجغرافية، والدينية، والقومية، فمثلاً: كانت روسيا ترى نفسها الوريث الشرعيّ للكنيسة الأرثوذكسيّة التي سقطت على يد السلطان محمد الفاتح بعد فتح القسطنطينية عام ١٤٥٣م، كذلك كانت روسيا القيصريّة تسعى إلى تأمين تجارتها عبر مضيقيّ البوسفور والدردنيل، والسيطرة عليهما، فضلاً عن أنها كانت ترى نفسها الأب الروحيّ المدافع عن الجنس السلافي.

لذا كان من دواعي اختيار قضية تجسسٍ داخل الأراضي العثمانية لصالح روسيا في أواخر عام ١٨٥٣م، أن كشفت من خلالها حقيقة هذه السياسة التي



انتهجتها روسيا ضدَّ الدولة العثمانية من خلال الحقائق التاريخية، والتي مصدرها الوثائق العثمانية الخاصة بفترة البحث، والمُودعة بالأرشيف العثماني التابع لرئاسة الجمهورية التركية بإسطنبول، والتي تتضمن معلوماتٍ لا نجدُها في غيرها من المصادر، ممَّا يعكسُ أهميَّة هذه الدراسة، كما تتجلى أهميَّة البحث في إبراز مظاهر العداء بين الإمبراطورية الروسية والدولة العثمانية في النصف الأول من القرن التاسع عشر، ومعرفة قوَّة الشعوب والأمم، ومدى ازدهارها أو اندثارها، والسعي الحثيث من قبل الأقوياء للسيطرة، وتحديد المصير بكافَّة السُّبل، مشروعةً كانت أم لا، كذلك تمَّ اختيارُ القضية المذكورة أواخرَ عام ١٨٥٣م، حيث جاءت في خضمِّ حرب القرم التي أطلقتها روسيا القيصرية ضدَّ الدولة العثمانية في أغسطس عام ١٨٥٣م.

وسيدور العرض التالي وفقا للمحاور التالية:

- (١) خلفية تاريخية عن موقف روسيا من الدولة العثمانية.
- (٢) نبذة عن الاستخبارات العثمانية.
- (٣) قضية تجسُّس روسية داخل الأراضي العثمانية.

أولاً- خلفية تاريخية عن موقف روسيا من الدولة العثمانية:

تميّزت سياسة روسيا تجاه الدولة العثمانية، منذ عهد: بطرس الأكبر PETER THE GREAT^(١) بأهدافٍ توسعية تحثُّ على السيطرة على المضائق، وبالتالي على العاصمة؛ من أجل تأمين تجارتها، وتنفيذ ادِّعاءاتها في وراثة الكنيسة الشرقية البيزنطية، إلا أن مشروعاتها التوسعية كادت تصطدم دائماً بمصالح وأهداف الدول الأوروبية، فالنمسا كانت تنافسها في السيطرة على البلقان، في حين عارضتها كلٌّ من فرنسا وإنجلترا لأسبابٍ اقتصادية وسياسية، ونتج عن تضارب المصالح الأوروبية تجاه الدولة العثمانية توترٌ متواصلٌ في العلاقات العثمانية الروسية^(٢).

وبعد صلح بلغراد عام ١٧٣٩م^(٣) عاشت الدولة العثمانية فترة هدوءٍ، حيث

تمكّنت من إيقاف الروس، وتعديّاتهم المتعدّدة على أراضيها، فضلًا عن انشغال أوروبا بمشاكلها الداخلية، ولكن منذ اعتلاء: كاترين الثانية (١٧٦٢م-١٧٩٦م) ^(٤) عرش البلاد، عادت روسيا من جديد إلى نشاطها العسكري، خاصّة ضدّ الدولة العثمانية وإيران وبولندا، وأدركت كاترين الثانية مشكلات الجنوب وأهميّته، ففي القرن الثامن عشر كان الجنوب والغرب عاملي تأثير في السياسة الخارجية الروسية، فالغرب قدّم لروسيا فلسفته، ونظّمه في الحكم، القائمة على "الاستبداد المُستتير"، أما الجنوب فتتواجد به إمكانيات كبيرة لتحقيق طُموحات روسيا التوسّعية، فهناك شبه جزيرة القرم، والبحر الأسود، ومضائق البوسفور والدردنيل، وجزر اليونان، وكذلك الأراضي المقدسة، وكان الروس يرون أنفسهم أصحاب حقّ في القسطنطينية، بوصفهم ورثة الإمبراطورية البيزنطية ^(٥).

ثم اندلعت الحرب الروسية العثمانية الكبرى عام ١٧٦٨م على إثر دخول الجنود الروسيين إلى بُولونيا، وكان انتصارُ الأسطول الروسي على الأسطول العثماني في بداية خريف عام ١٧٧٠م نقطة تحوّل في التاريخ العثماني، حيث كانت المرة الأولى التي تتغلّب فيها دولة أوروبية بمفردها في حربٍ مع الدولة العثمانية، وبهذا تكون قد تدنّت - من حيث القدرة الحربية - إلى الدرجة الرابعة بعد إنجلترا، وفرنسا، وروسيا بالتسلسل، واستولت روسيا على كامل جزيرة القرم عام ١٧٧١م، ممّا أنهى حكم الدولة العثمانية الفعليّ عليها بعد ٢٩٦ عامًا، والتي تضمّ مليونًا ونصف مليون عثماني ^(٦).

ورغم انتصارات الروس فإنهم تكبّدوا خسائر فادحة في سبيل تحقيق مشروع كاترين التوسّعي على حساب أراضي الدولة العثمانية، ممّا دفعها إلى توقيع صلح: كوتشك قينارجه مع العثمانيين، في ٢١ يوليو ١٧٧٤م، والذي نصّ أهمّ مَوادّه على استقلال بلاد القرم، ورعاياها عن الدولة العثمانية، ولم يلحقوها إلا دينيًا فقط، فضلًا عن عدّة امتيازات للروس داخل أراضي الدولة العثمانية ^(٧)، فاقت تلك التي تمّ منحها مُسبقًا لفرنسا وإنجلترا. ولكنّ الصلح المذكور ربّما أعطى الدولة العثمانية فرصة لإعادة



ترتيب أوضاعها الداخلية، والقيام بعددٍ من الإصلاحات حتى تستطيع مُجابهة الأخطار والتربُّصات الخارجية، والتي أهمُّها الروسية.

غير أن العلاقات الروسية العثمانية لم تلبث أن توتَّرت من جديد عام ١٧٨٣م؛ بسبب إقدام روسيا على احتلال شبه جزيرة القرم -مُخالفةً شروط صلح كينارجة - إلا أن الدولة العثمانية أخذت بمشورة فرنسا، واعتزفت بضمِّ روسيا للقرم، غير أن روسيا كان هدفها إثارة الدولة العثمانية وجرحها إلى الحرب، فأتبعت ضمَّ القرم بتحسين ميناء: سباستوبول في جنوب القرم، وإقامة ترسانة في ميناء: كرزن، وإنشاء عمارة بحرية في البحر الأسود، وإرسال الجواسيس إلى بلاد اليونان وولايته: الفلاخ والبغدان؛ لإثارة المسيحيين على الدولة العثمانية، فبادر الباب العالي بإعلان الحرب على روسيا في أغسطس ١٧٨٧م^(٨)، وجدير بالذكر ما أشارت إليه إحدى الوثائق إلى تحذير من السلطان محمود الثاني إلى الصدر الأعظم، من تسرُّب الجواسيس، وممن يَبْنُونَ الأخبار الكاذبة، ويوقعون الدولة العلية في حرجٍ مع رعاياها^(٩).

وتعددت أطوار القتال بين الطرفين، وحقَّق الروس بمساعدة النمسا انتصارًا واضحًا في البحر الأسود، وفيما وراء نهر: قوبان، وبات واضحًا بأن الدولة العثمانية غدت في خطرٍ عظيمٍ لو استمرَّ اتحاد روسيا والنمسا ضدها، ولكن حالَّقها الحظُّ باضطراب أوضاع النمسا، فاضطرت إلى عقد صلح: زشتوي في أغسطس ١٧٩١م مع الدولة العثمانية، إلا أن روسيا لم تتبَّع النمسا حليفها في طريق الصلح، واستمرت في مُحاربة الدولة العثمانية بمفردها، واستولى القائد: سواروف في أواخر ١٧٩٠م، على مدينة: إسماعيل^(١٠)، وارتكب فيها من الأعمال الوحشية ما لا يُوصف، فتدخلت كلٌّ من إنجلترا، وبروسيا، وهولندا بين الدولتين: -الدولة العثمانية، وروسيا -بشأن عقد صلح بينهما، وفي يناير ١٧٩٢م عُقدت مُعاهدة: ياش بين الطرفين، والتي نصت أهمُّ بنودها على امتلاك روسيا لبلاد القرم، وجزءٍ من بلاد: القوبان، وبسارابيا،

والأقاليم الواقعة بين نَهري: بوج ودينستر (١١).

هكذا كانت معاهدة ياش تجديدًا لمعاهدة: كوتشك قينارجيه، وانتهى القرن الثامن عشر بقدرٍ من التراجع والاندحار للدولة العثمانية أمام روسيا، التي حققت قُدْرًا من الانتصار، وتحقيق الآمال في التوسُّع على حساب أراضي الدولة العثمانية، وتأمين تجارتها عبر المضائق إلى البحر المتوسط، والحصول على حق حماية المسيحيين الأرثوذكس في الدولة العثمانية.

وفي مطلع القرن التاسع عشر تناقضت العلاقات الأوروبية كثيرًا وتخبَّطت؛ نتيجة الحملة الفرنسية والحروب النابليونية، وهي فترة جعلت الدولة العثمانية تضطَّر إلى عقد صلح مع روسيا ضدَّ فرنسا في ٣ يناير عام ١٧٩٩م، الأمر الذي استغلته روسيا لمواصلة تحقيق أطماعها التاريخية، وقام الروس بتحريض الرعايا المسيحيين في المورة، وجُزر البندقية القديمة المأخوذة من الفرنسيين، ثم أرادوا تحويل حق العبور المؤقت من المضائق إلى حق دائم، ممَّا دفع الدولة العثمانية إلى الاقتراب من فرنسا، ومُحاولة عقد معاهدة صلح معها في أسرع وقت، فانعقدت بينهما معاهدة باريس في ٢٥ يولييه ١٨٠٢م، والتي أعادت الامتيازات الفرنسية في الشرق (١٢).

هذا وأدَّت سياسة التقارب العثمانية الفرنسية إلى نشاط كلٍّ من روسيا وإنجلترا لمواجهة هذا التقارب، فاشتعلت فترة من الاضطرابات على الساحة الأوروبية كلها، ويهْمُنَا منها ما يخص العلاقات العثمانية - الروسية التي اشتعلت، ولم تهدأ إلا بمعاهدة: بوخارست في ٢٨ مايو ١٨١٢م، حيث شهدت الفترة التي سبقتها العديد من الاحتكاكات القتالية بينهما، وجدير بالذكر ما أشارت إليه الوثائق عن دور مصر الكبير في دعم الدولة العثمانية في حربها ضدَّ روسيا خلال تلك الفترة (١٣).

وعلى أية حال استعادت روسيا مكانتها كواحدة من القوى العظمى بعد الدَّور الذي لعبته في إسقاط نابليون، وتراجع أمامها مركز أعدائها الدولي، خاصة الدولة



العثمانية، وصارت طرفاً أساسياً في رسم السياسة الأوروبية الدولية، من خلال المؤتمرات والمعاهدات الدولية؛ كمعاهدة: باريس الأولى في ٢٠ مايو ١٨١٤م، ومؤتمر: فيينا (١٣ سبتمبر ١٨١٤م: ٩ يونيو ١٨١٥م) والذي بدت فيه روسيا كقوة قادرة على تهديد أوروبا بأسرها، ومعاهدة: باريس الثانية (٢٠ نوفمبر ١٨١٥م)، ومؤتمر: تروباو (١٨٢٠م)، ومؤتمر: ليباخ (١٨٢١م)، ومؤتمر: فيرونا (١٨٢٢م)، وسارت تخفي أطماعها السياسية التوسعية في عدة توجّهات؛ كاللعب بورقة الأقليات الدينية والعرقية، والظهور بمظهر المدافع عن المسيحيين ضدّ المسلمين؛ لتثبيت حقوقها في أملاك الدولة العثمانية، والأب الروحي للجنس السلافي، فنجّدها تشجّع حركات العصيان في الصرب واليونان ضدّ الإدارة العثمانية، وتعمّها بقوة بهدف تحريرهم وأوروبا كلّها من السيطرة العثمانية، وإحياء الإمبراطورية البيزنطية القديمة^(١٤).

هذا وقد اضطرت الدولة العثمانية بعد أن رأت التحالف الروسي الإنجليزي إلى التصديق على معاهدة: آق كرمان في أكتوبر ١٨٢٦م، والتي نصت على أن يكون لروسيا حقّ الملاحة في البحر الأسود، ومُرور سفنها بدون أن يكون للدولة العثمانية حقّ التفتيش، وأن يُنتخب حكام ولايتي: الأفلاق، والبغدان بمعرفة الأعيان لمدة سبع سنوات، مع عدم جواز عزلهما إلّا بإقرار روسيا، وأن تكون ولاية الصرب مُستقلة، وألّا يحتلّ الجنود العثمانيون إلّا قلعة: بلغراد، وثلاث قلاع أخرى، ولم يُذكر بهذه المعاهدة شيء عن اليونان، واتّفقت روسيا وإنجلترا على استعمال نفوذهما لوضع حدّ للحروب المستمرة -ولو كره الباب العالي- ووافقتهما: النمسا، وبروسيا، وفرنسا^(١٥).

اتّحدت الأساطيل الإنجليزية، والفرنسية، والروسية في عام ١٨٢٧م، ودخلت البحر اليوناني، في محاولة للضغط على الدولة العثمانية في قضية الاستقلال الذاتي لليونان، وكان محمود الثاني قد رفض الاستقلال الذاتي لليونان بعد استرداد شبه جزيرة الموره، وكان يُخشى أن تصبح اليونان نموذجاً تقتدي به الدول البلقانية الأخرى^(١٦).

وتقدّمت روسيا، وأعلنت الحرب في عام ١٨٢٨م على الدولة العثمانية، والتي اضطرت بعد هزيمتها إلى التنازل لروسيا عن عدّة مناطق، بموجب معاهدة: أدّنه التي وقّعت بين الطرفين في ١٥ سبتمبر ١٨٢٩م، والتي تضمّنت: أن يُترك لروسيا ساحل البحر الأسود الشرقي بكامله، وفي البلقان: دلتا الطونة، وأن يُترك كذلك لروسيا المناطق المسكونة بالأتراك من كرجستان، كما تضمّنت موافقة الباب العالي على اعتبار كرجستان قطرًا روسيًا، وهكذا أصبحت السواحل الروسية في البحر الأسود، مُساوية تقريبًا للسواحل العثمانية فيها، إلى غير ذلك من المكاسب السياسية والاقتصادية لروسيا خاصّة، والنمسا، وإنجلترا، وفرنسا عامّة، في أنحاء مختلفة من الدولة العثمانية^(١٧).

وبعد عام من معاهدة أدّنه المذكورة، حصلت اليونان على الاستقلال السياسي عن الدولة العثمانية عام ١٨٣٠م، وفي نفس الوقت قامت فرنسا باحتلال الجزائر، فضلًا عن المسألة المصرية التي تفجّرت، حيث سقطت في يد قوّات محمد علي باشا كلّ من فلسطين، ولبنان، ودمشق في أقلّ من عام (١٨٣١-١٨٣٢م)، كما احتلّ إبراهيم باشا قونية ١٨٣٢م، ووصل في فبراير ١٨٣٣م إلى كوتاهية، وأمام هذا الخطر، طلب السلطان العون من القيصر: نيقولا الأول، واستجاب هذا الأخير لهذا الطلب، ولكن تمّ توقيع معاهدة في كوتاهية في ٩ مارس ١٨٣٣م، بين العثمانيين ومحمد علي باشا، وهو ما لم يُرضِ القيصر نيقولا الأول، وصار يضغط على السلطان محمود الثاني حتى توصّل إلى عقد معاهدة إنكار: إسكسلي (٨ يوليو ١٨٣٣م)، والتي مثّلت تحالفًا دفاعيًا روسيًا عثمانيًا، لمدة ثمانية أعوام، وتحدّد نوع هذه المعونة المشتركة في مادة سرية، وتضمّنت تعهّد روسيا بتزويد الدولة العثمانية بمساعدة مسلّحة، وإقفال الدولة العثمانية البوسفور، والدردينيل على الدول الأوروبية؛ لمنع عدوّ روسيا من إدخال أسطوله في البحر الأسود^(١٨).

ولكن تجدّد النزاع بين السلطان العثماني، ومحمد علي باشا عام ١٨٣٩م، جعل



ممثلي الدول الأوروبية: (إنجلترا، النمسا، بروسيا، روسيا، فرنسا) يجتمعون في مؤتمر: لندن ١٨٤٠م، وقرروا إلزام محمد علي باشا بإرجاع ما أخذه، ويحتفظ لنفسه بالجزء الجنوبي من الشام دون مدينة عكا، وأن تكون لمراكب: روسيا، وإنجلترا، والنمسا معاً الحق في دخول البوسفور؛ لحماية إستانبول لو هاجمها الجيوش المصرية، ومنح ولاية مصر لمحمد علي مدى الحياة، وانتقالها لأبنائه من بعده، وأن ينسحب بجيوشه من الأماكن الأخرى التي احتلها، واستطاع بالمرستون Palmerstone^(١٩) في نفس الوقت إلغاء معاهدة: إنكار إسكسلي من الناحية الفعلية، ثم تمكن من إقناع الدول الخمس بإمضاء اتفاقية: المضائق في ١٣ يوليو ١٨٤١، وبذلك أصبحت الدولة العثمانية تحت حماية الدول الكبرى، لا تحت حماية روسيا وحدها^(٢٠).

ثم تجدد النزاع الروسي العثماني عام ١٨٤٨م، على أثر تعقب كل من روسيا والنمسا بعض المجريين والبولنديين الذين قاموا بحركات عصيان، والتجأوا إلى أراضي الدولة العثمانية، والتي رفضت تسليمهم، وصارت الحرب وشيكة بين الدولة العثمانية وروسيا، إلا أنهما توصلا إلى اتفاق: (بلطة ليمان) في مايو ١٨٤٨م^(٢١).

غير أن عداوة روسيا التقليدية للدولة العثمانية لم تتوقف، واستمرت في العمل على تدمير الدولة العثمانية، وإثارة الاضطرابات في البلقان، بحجج دينية واهية، وفي عام ١٨٥٣م حاول القيصر: نيقولا الأول الاتفاق مع إنجلترا - لأنه كان يُدرك أنها العقبة الأساسية أمام تحقيق مخططاته تجاه الدولة العثمانية - على تقسيم الدولة العثمانية حال سقوطها، إذ قال: "إن الدولة العثمانية رجل مريض، وأنا مثلكم راغب في استمرار حياته، إنه يمكن أن يموت فجأة بين أيدينا، وإننا لا نستطيع أن نحيا الموتى إذا سقطت الإمبراطورية التركية، فإنها ستسقط لكي لا تقوم بعد ذلك أبداً، ولهذا أفلا يكون من الأفضل أن نكون مُستعدين مسبقاً لهذا الاحتمال من أن نجلب لأنفسنا الفوضى والارتباك، وحتمية حرب أوروبية"، لكن إنجلترا رفضت، وكانت تساند حركة الإصلاحات العثمانية^(٢٢).

تحوّل التنافس الروسي - الفرنسي عام ١٨٥٠م الى نزاع بين رجال الدين الكاثوليك، ورجال الدين الأرثوذكس في فلسطين حول إدارة الأماكن المقدسة، وحقّ حمايتها، فكانت كلُّ جهةٍ تدّعي حقّها في الحماية، الأمر الذي أدّى إلى تدخّل فرنسا في محاولةٍ منها لترجيح كفة رجال الدين الكاثوليك باعتبارها حامية الكاثوليكية، وتودّدت إلى الحكومة العثمانية، وطلبت منها أن تُعلن رسميًا أفضلية رجال الدين الكاثوليك في الدولة العثمانية^(٢٣)، فعيّن الباب العالي لجنةً مشكّلةً من عدّة أعضاءٍ مُختلفي المذاهب لفصلها بمقتضى المعاهدات القديمة، وقرّرت هذه اللجنة بعد عدّة اجتماعاتٍ مُتتالية، بأولوية الكاثوليك في امتلاك عدّة كنائس وأديرة^(٢٤)، وصدر عام ١٨٥٢ مرسومٌ عثمانى بتسليم المفاتيح الثلاثة الخاصة بالأبواب الرئيسة لكنيسة العذراء، وكذلك باب السراييب القائمة تحت كنيسة المهد في بيت لحم إلى رجال الدين الكاثوليك في القدس، كذلك بقي مفتاح مدخل الكنيسة الرئيس في الجانب الغربي في حوزتهم^(٢٥).

كذلك أثارَ حفيظة روسيا سماحُ الحكومة العثمانية للكاثوليك في القدس، بنقل النجمة الفضية التي أهدتها فرنسا للكاثوليك إلى كنيسة المهد في بيت لحم، مع نقل كمّيات كبيرة من الأموال لرجال الدين الكاثوليك في فلسطين، للقيام بأعمال كثيرة في الأماكن المقدسة، لا سيّما في القدس مع أخذ المفاتيح الموجودة بحوزة الرهبان الأرثوذكس، وتسليمها إلى رجال الدين الكاثوليك، لذا عدّ الروس نقل المفاتيح من رجال الدين الأرثوذكس إلى الكاثوليك إهانةً لهم وضربًا للسيادة الروسية في الدولة العثمانية، وأمام رعايا القيصر من الأرثوذكس^(٢٦).

وبذلك اتّخذَ النزاعُ على الأماكن المقدّسة شكلًا دوليًا بعد تدخّل فرنسا وروسيا في محاولة لدعم رجال دينهم وتمكينهم، واتّخذت روسيا هذا النزاع ذريعةً لتنفيذ وصيّة بطرس الأكبر، وأرسلت سفيرها: منشيكوف Munshikuf إلى الأستانة للتفاوض في مسألة الأماكن المقدسة في الظاهر، وفي الحقيقة لم يكن القصد من إرساله إلا إيجاد



أسباب الشقاق لإعلان الحرب ضدَّ الدولة العثمانية، بحُجَّة مَقبولة لدى الدول الأوروبية، وحاولَ منشيكوف تجديدَ شروط "معاهدة: خونكاراسلكه سي"، القاضية بأن يكون لروسيا حمايةً جميع المسيحيين الموجودين بالأراضي العثمانية، لكن السلطان رفض، فانسحب منشيكوف من الآستانة مُهدِّدًا باحتلال الجنود الروس لولايتي: الأفلاق والبغدان، وبالفعل أقدمت على احتلالهما في ٢ يوليو ١٨٥٣م^(٢٧). وبذلك اندلعت الحربُ المسمَّاة حرب: الشرق أو القرم (١٨٥٣-١٨٥٦م) - في شبه جزيرة القرم، والواقعة في شمالي البحر الأسود - بين روسيا والدولة العثمانية، وتحقق للعموم أن غرض روسيا هو إعلان الحرب على الدولة العثمانية، وتقسيم ممالكها؛ لزيادة النفوذ الروسي الاقتصادي والديني والجغرافي، لذا وقَّعت فرنسا وإنجلترا في صفِّ الدولة العثمانية ضدَّ روسيا، وانتهت الحرب المذكورة بهزيمة جيوش الإمبراطورية الروسية، وتوقيع معاهدة: باريس عام ١٨٥٦م^(٢٨).

ثانيًا - الاستخبارات العثمانية:

الاستخبارات: مُصطلح، أو مفهوم عام يعني النشاطات المتعلقة بالعمل على فهم أوضاع، أو نوايا الخصوم الحقيقيين، أو المحتملين داخل المجتمعات، أو الدول والاطلاع على قابليَّاتهم، ونقاط ضعفهم، وإحباط جهود الجواسيس الذين يُرسلهم العدو؛ وُصولاً إلى حماية وجود الدول والأمم، وضمان مستقبلها^(٢٩).

وكلمة الجاسوس مُشتقة من: جس، وتعني: بحث ومعرفة أسرار العدو، وسرِّب أخباره، والقيام بنشاطات تخريبية داخل صفوفه، والنشاط الاستخباري قديم قدم التاريخ الإنساني، وأول نشاط استخباري في المجتمعات الإسلامية بدأ مع البريد، وعُرف من قام بهذا النشاط بساعي البريد. وقد أطلق الترك قديماً على من يقوم بهذا النشاط داخل أراضي عدوهم، وهو الصين، اسم: "جاشيت"، أما في العصر الحديث، فأطلق اسمُ الجاسوس على كلِّ من يبيِّث الأخبار الكاذبة، ويعمل على نشر الفتنة،

والفساد بداخل المجتمعات (٣٠).

ونجدُ في وثائق الأرشيف العثماني: لفظة الجاسوس من خلال دفاتر المهمة، وتُطلق على الذين يُجيدون اللغات، وأهل الثقة والخبرة والمعرفة، وشديدي الإحساس، وذوي الخبرة والاطلاع على أحوال الأمم، وعلى الذين مَهروا في معرفة العدو، وتلقي أخباره، وطوّروا طرق تطوير الصداقات، وكثرة التنقل واستراق السمع وإجادة الخداع. كل ذلك قبل أن تنشأ مؤسسات تعليم وتطوير الأعمال الاستخبارية التي نجدُها في كل الدول والمؤسسات في عصرنا الحالي. يقول نابليون: "إذا نظرنا إلى نتائج الحروب وجدنا أن دور وبطولات سُدنة المدفعية والمشاة والفرسان لا يكاد يُذكر أمام ما يقوم به الجواسيس من أعمالٍ غير مرئية" (٣١).

وأولى الوثائق المتعلقة بالتجسس واستطلاع أخبار العدو نجدُها في عهد: جم سلطان (٣٢)، الذي أرسل وهو في جزيرة لمني باليونان جاسوسين إلى رودوس، ثم إلى فرنسا، وتلقى من أحدهما - واسمه حسين - تقريراً مفصلاً عن الأوضاع في تلك الجزيرة، ويرجع تاريخ الوثيقة إلى عام ١٤٨٢م (٣٣).

ونجدُ في الوثائق سرداً للأساليب المتبعة والوسائل المستخدمة من قبل الجواسيس في نقل وإخفاء المعلومات السرية، حتى وصولها إلى الهدف المنشود، ومنها - وفقاً لموقع التدابير المطلوبة لمكافحة التجسس بوكالة القيادة العليا بالجيش العثماني الهمايوني - بأن الأخبار تتسرّب عبر الحدود وفق الطريق الآتية:

- بعد كتابة التقارير على أوراقٍ حريرية رقيقة تُطوى، ثم تُوضَع بداخل الأذن، وتسدّ بقطعة من القطن.

- تُخبأ المخططات والرُسوم بداخل الشمسيات، وعندما يضطر صاحب الشمسية للتوقف لتدقيق جواره يُعطي شمسيته لأحد شركائه (٣٤).

وأفاد أحد التقارير إلى أنه كان يُعاقب الجواسيس وفقاً لقانون العقوبات



العسكري الذي يُطبَّق على مرتكبي جريمة إفشاء الأسرار العسكرية والتجسس والخيانة الحربية، ووصف القانون المذكور التجسس بأنه الاطلاع على أي سرٍّ عسكري بصورة مُغايرة للقانون والصلاحيّة، ولاحقًا أفادتْ مذكرة نظارة الحربيّة إلى شورى الدولة في ٢٥ شوال ١٣٣٢هـ، الموافق ١٦ سبتمبر ١٩١٤م بإدخال عدّة تعديلاتٍ عليه^(٣٥).

وجديرٌ بالذِّكر أن السلطاتِ العثمانيةَ كانت ترصدُ مُخصّصاتٍ سنويّةً لمأموري البوليس السريّ لأعمال الاستخبارات؛ لإجراء البحث والتحريّ اللازمين، وجمع الأخبار بصورة غير عادية، فضلًا عن اللجوء أحيانًا إلى اعتماد المزيد من المصاريف المؤقتة والطارئة، والتي كانت تُوصَفُ "بالمصاريف الضرورية جدًّا"، ويُطلبُ إحالتها إلى نظارة المالية؛ لكي تقوم بتسديدها ودفعها من قِبَل الخزينة^(٣٦).

وحسب ما نوّهتْ إليه إحدى الوثائق كانت تعدُّ تقارير شهرية من قِبَل المأمورين السريّين بمصاريف التحقيقات السريّة الطارئة حول الشؤون السياسية، لكن الرجال المستخدمين في هذا المجال كانوا يخشون كثيرًا من شُيوع أسمائهم، ويمتنعون عن إعطاء سنداتٍ بالمبالغ التي يتلقونها، أو يسعون إلى تقديمها بأسماءٍ أخرى مُستعارة، ممّا يُؤدّي إلى تعذُّر تنظيم دفترٍ، وتقديمه مع السندات اللازمة لتلك المصاريف^(٣٧).

وبعد اندلاع حرب القرم بين روسيا والدولة العثمانية - السالفة الذكر - تطالعنا الوثائقُ العثمانية بحالةٍ من النّفير العام داخل أروقة الباب العالي لأخذِ الحيطة والحيلولة دون وصول أخبار الجيش الهمايوني لجواسيس روسيا، وإجهاض عمليات التجسس داخل الأراضي العثمانية لصالح عدوّهم، ومن تلك الوثائق مذكرة مجلس الشورى العسكريّ إلى مقام قيادة الجيش، وجاءَ فيها: "لَمَّا كان استراقُ أوضاع الجيش الهمايوني المحتشد للحرب في الأماكن المعلومّة من قبل العدوِّ بإرسال جواسيسه - يجري بالعديد من الطرق والوسائل، ومنعًا لوصول أخبار وأوضاع الجيش الهمايوني إلى العدوِّ عبر هؤلاء الجواسيس، فمن مُقتضى السياسة الحربية أن يحرص المشيرون

العظام، والأمراء، والضباط المؤتمرون بأمرهم على أخذ الحذر الدائم، والاهتمام الكامل في التحري والبحث عنهم، والاستدلال عن أحوالهم، وتصرفاتهم، والقبض عليهم قبل أن يتمكنوا من استراق أحوال الجيش وأوضاعه، وإيقاع العقوبة اللازمة فيمن يقبض عليهم. وقد رأى مجلس الشورى العسكري أنه من الأمور المسلّم بها إجراء البحث، والتحري في كل الأحوال وكافة الأمكنة عن الجواسيس القادمين من طرف العدو، والقبض عليهم والتحقيق معهم وإيقاع عقوبة الإعدام فيمن ثبتت تهمتهم، وإجراء أحكام القوانين الجزائية المرعية. كما يجب القبض على كل من يشتبه في قدومه من طرف العدو للتجسس، واستراق أوضاع الجيش الهاميو، وإجراء التحقيق والتحري اللازمين، فإذا تبين أنهم جواسيس يُصار إلى التحقيق معهم، وأخذ إفاداتهم بصورة كاملة، وتسجيلها في محاضر ضبط، ثم إعدامهم رمياً بالرصاص على ملاء من الناس، وفي حال صدور الإرادة السنية بالموافقة على ذلك، يُصار إلى تبليغه لمن يلزم كتابياً، يُرجى تفضل مقام قيادة الجيش بالإحاطة بالأمر، لحضرة ولي الأمر^(٣٨).

وقد استتبع المذكرة السالفة عدة مذكرات بنفس المحتوى؛ من قائد الجيش لمقام الصدارة السامية، ثم مذكرة الصدارة إلى السلطان، فصدّرت الإرادة السنية بالموافقة على تنفيذ ما جاء بها^(٣٩).

قضية تجسس روسية داخل الأراضي العثمانية^(٤٠)

في خضمّ حرب القرم تمّ القبض على شخص يُدعى: أندوروشكا في جهات إيساقجي^(٤١)، بتهمة التجسس لصالح روسيا، كذلك تمّ القبض على كل من ذكر اسمه من بعيد، أو قريب في هذا الأمر، وانعقدت عدة مجالس خاصة، للتحقيق معهم في طولجي^(٤٢)، ثم في شومني، وجرّت التحقيقات على النحو التالي:

- استجواب المدعو: أندوروشكا ولد غانجو من رعايا الدولة العلية المقيم في إيساقجي، بتاريخ ٢١ ربيع الأول ١٢٧٠هـ، الموافق ٢١ ديسمبر ١٨٥٣م،



وقد قُبِضَ عليه مُؤَخَّرًا في إيساقجى بتهمة التجسس لصالح روسيا، وجاء فيه:

س: لماذا قُبِضَ عليك؟ وما السبب؟ وأين وكيف؟ اذكر دون مُراوغة.

ج: قبل حوالي أربعة شهور أرسلني أحمد آغا مدير إيساقجى، وحافظ ثابت من أهالي إيساقجى إلى الجهة الأخرى للتجسس، فذهبتُ إلى هناك، وكنتُ أجمعُ ما أمكنني جمعه من معلوماتٍ عن أحوال الروس، وأرجعُ وأقدّمُها. وقبل شهرٍ ونصف أرسلوني مرةً أخرى إلى الجهة الأخرى، ولأنني فررتُ من روسيا من قبلُ إلى هذه الجهة، عرّفوني في إسماعيل، فقَبِضُوا عليّ، وألقوني في الحبس: ثم أخرجوني، وأرسلوني على أن أتجسس على الجهة الأخرى، بمعنى جمع المعلومات العسكرية في إيساقجى، وسائر الأماكن الأخرى، والإبلاغ عنها. أخذوني إلى غابة السرو المقابلة لإيساقجى ليلاً، فعبّرتُ من هناك إلى هذه الجهة، وتوجّهت مُباشرةً إلى منزل المختار: القازقي زهاركو، فلما ذكرْتُ له ما جرى، قال "إنهم يبحثن عنك هنا أيضاً، فإذا وجدوك قتلوك". قلت: "وما العمل؟". أجاب: "لا تخف؛ سأحميك، عُدْ إلى الجهة الأخرى، وقل للروس: بأن العساكر والمدفعية أخلتُ إيساقجى، وذهبت إلى باباطاغ. ولم يبقَ في إيساقجى سوى ألفي عسكري، وثمانية مدافع، وأن عليهم أن يأتوا إلى هذه الجهة دون ترددٍ. قلت: "كيف أعبر؟ وهل يمكنني أن أجد قارباً للعبور؟". ولعلمه بأن المدير أرسلني من قبل، وبأصحاب القوارب الذين عبروا بي، ذهب فوجد أصحاب القوارب، واتّفق معهم، ثم أخذني من بيته، وأرسلني إلى ما بعد مركز الجمر، وكان القارب جاهزاً، فأركبني، وأرسلني إلى الجهة الأخرى، فوصلتُ إلى أحد الشواطئ، وأخبرتُ من هناك بأني قادم من طرف المختار، وطلبتُ منهم إبلاغ ضابطهم بعدد العساكر، فجاء الضابط، واستجوبني، ثم أخذني مع حوالي أربعة من القازاق إلى محافظ قلعة إسماعيل، فاستجوبني بدوره، ثم قال لي: "اذهب مرةً أخرى إلى المختار في إيساقجى؛ وأخبره بأن

المعلومات التي زوّدك بها غير كافية، فليتحقق جيدًا، وليتأكد من مقدار المدافع والعساكر العثمانية، ويُرسلك إلينا مرةً أخرى. ثم أرفقني بضابطٍ، فعبرْتُ مرةً أخرى إلى إيساقجي. ثم تغلب عليّ الخوف، فتجوّلت في الجبال ثلاثة أيام، وفي النهاية ذهبتُ إلى إيساقجي، فوصلتُ إلى منزل المختار، ولمّا وجدت الباب مُقفلاً توجّهتُ إلى الإسطنبول، فوجدتُ أحدًا هناك، ولمّا سألتُه أجاب بأنهم علموا بإرساله لك إلى الجهة الأخرى، فقبضوا على المختار وحَبَسوه. ثم توجّهتُ من هناك إلى منزل القازاقي فاسيل، فسألته أيضًا، فأجاب بنفس الجواب، ثم علمت الضبطية بالخبر، فجاؤوا وقبضوا عليّ.

س: ما اسم أصحاب القارب؟

ج: أحدهم يُقال له: ديمتري القازاقي ذو اللحية، والآخر اسمه كذلك ديمتري القازاقي.

س: عندما أرسلك المدير لأول مرة كان أصحاب القارب على علم بإرسالك من قبل المدير، فهل كان ذلك عندما أرسلك المختار؟

ج: قاسوا الخبر أيضًا على إرسالي من قبل المدير.

س: لماذا جعلتهم يوم أمس يقبضون على المدعو: نيشان الروسي الجنسية، شقيق المدعو: كيركور كيره غوس الروسي الجنسية أيضًا؟

ج: سمعتُ من الضباط الروس في إسماعيل بأن المذكورين جاسوسان، وكتبنا أوراقًا هنا وأرسلناها إلى إسماعيل. لكنّي لم أرهما هناك، بل أعرفهما سابقًا، وأعرف بأن قره بت الروسي في إسماعيل من رجال المختار.

س: عندما هم المختار بإرسالك إلى الجهة الأخرى، من كان معه؟ وإذا كان معه آخرون، فهل كانوا على علم بما يجري؟

ج: كان معه إفتودي طورو، وسيمبون أونوبري، وأخوه زهارتو أونوبري، ويواكيم بائع القُدور الفخارية، كلُّهم على علم بسبب ذهابي.



س: مَنْ مِنْ هَؤُلَاءِ فِي السِّجْنِ الْآنَ؟ أَذْكَرُ أَسْمَاءَهُمْ.
 ج: مَا مِنْ أَحَدٍ كَانَ عَلَى عِلْمٍ بِذَلِكَ سِوَى الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ ذَكَرْتَهُمْ.
 س: هَلْ لَدَيْكَ مَعْلُومَاتٌ عَنْ أَعْمَالِ يَاقِي حَوْلِي وَغَيْرِهِ مِنَ الْجَوَاسِيسِ الَّذِينَ سَبَقَ الْقَبْضُ عَلَيْهِمْ وَأُرْسِلُوا إِلَى شُومْنِي؟ وَهَلْ هُنَاكَ مَنْ يَعْرِفُ عَنْهُمْ، وَعَنْ غَيْرِهِمْ؟
 اصْدُقِ الْقَوْلَ.

ج: الْمَذْكُورُونَ الَّذِينَ أُرْسِلُونِي فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ إِلَى الْجَهَةِ الْمَقَابِلَةِ لِلتَّجَسُّسِ يَعْرِفُونَهُمْ، وَكَانُوا يُخَفُونَهُمْ عَنِّي. وَلَكِنْ سَمِعْتُ مِنَ الْمَدْعُومِينَ: سَيَمِيونَ بَايْبُولَارَ، وَيُورْكِ أَنْطُونُ أَنْ كَلًّا مِنْ: كُورْكِ فَرْمَسُونِ الْمُخْتَارِ، وَقِسْطَنْطِينَ صَهْرَ دُوبْرِيشَانِ، وَقِسْطَاكِي مُقَدِّمِ الْخَمُورِ لَدَى فَاسِيلَ، وَأَنْطُونِ، وَنِيكُولَجِهَ لَدَيْهِمْ مَعْلُومَاتٌ فِي هَذَا الْخُصُوصِ، فَهَمُ رِفَاقُ بَعْضٍ.

س: وَهَلْ فِي طَوْلْجِي جَوَاسِيسٌ؟ وَمَنْ هُمْ؟ وَكَمْ عَدَدُهُمْ؟
 ج: فِي طَوْلْجِي مَا يَقْرُبُ مِنْ ثَلَاثِينَ جَاسُوسًا مِنَ الْقَازَاقِ، سَمِعْتُ أَنَّهُمْ يَكْتَبُونَ التَّقَارِيرَ، وَيُرْسِلُونَهَا مَعَ اثْنَيْنِ مِنَ الْقَازَاقِ، لَا أَعْرِفُ اسْمَيْهِمَا إِلَى إِسْمَاعِيلَ، وَقَدْ رَأَيْتُ هَذَيْنِ الْقَازَاقَيْنِ، أَحَدُهُمَا: مَتَوَسِّطُ الْقَامَةِ، نَحِيفُ الْوَجْهِ، أَبْيَضُ اللَّحْيَةِ، وَمَتَقَدِّمٌ فِي السِّنِّ، وَالْآخَرُ: مَتَوَسِّطُ الْقَامَةِ، شَابٌ أَمْرَدٌ، فِي الثَّامِنَةِ عَشْرَةِ مِنَ الْعُمُرِ، لَا أَعْرِفُ اسْمَيْهِمَا، لَكِنِّي أَعْرِفُهُمَا إِذَا رَأَيْتُهُمَا. يَأْخُذَانِ الْأَوْرَاقَ الَّتِي تُعْطَى لَهُمَا، وَيَسْلِمَانِهَا إِلَى النَّقْطَةِ السَّابِعَةِ؛ بَدْءًا مِنَ النَّقْطَةِ الْأُولَى عِنْدَ إِسْمَاعِيلَ، ثُمَّ السَّيْرَ نَحْوَ طَوْلْجِي حَيْثُ النَّقْطَةُ السَّابِعَةُ، يَسْتَلُمُ الْأَوْرَاقَ هُنَاكَ ضَابِطٌ بِرَتَبَةٍ: يُوْزْبَاشِي، وَيُرْسِلُهَا مَعَ الْمَذْكُورَيْنِ إِلَى إِسْمَاعِيلَ.

توقيع المتهم

- استجواب المدعو: ديمتري ولد أندريا الذي كان من التابعة الروسية، ثم فرَّ منها، وهو حاليًا من التابعة العثمانية، ومقيم في إساقجي:

س: عرفنا بأنك مع صديقك ديمتري أرسلتما المدعو: أندوروشكا بالقرب إلى الجهة الأخرى. كيف كان ذلك؟ ومن طلب منكما إرساله إلى الجهة الأخرى؟ قُلْ ذلك دونَ مُواربة.

ج: كنت نائمًا ليلاً في بيت ديمتري ذي اللحية، فجاء المختار القازاقي: زهاركو، ومعه رجل يُدعى: أندور، فأيقظًا صاحب المنزل، فقام المذكور بإيقاظي، كان في يد المختار المذكور شيء من العرق، وبعض الدخان، وفروتين، طلبنا إلى خارج البيت، وقال: "إن أندوروشكا مكلف من قِبَل القَصْر؛ أي: المدير للعبور إلى الجهة الأخرى بمهمة التجسس، وعليكما أخذه والعبور به إلى الجهة الأخرى"، فوافقنا على ذلك، فقمنا جميعًا وتوجَّهنا صوب شاطئ: الدانوب، وركبنا القارب عند الجهة السفلى من الجمرِك، وعبرنا بأندوروشكا إلى الجهة الأخرى، وبقي المختارُ عند شاطئ الدانوب.

س: بعد أن أيقظوكما من النوم، ماذا تحدَّثتم؟ وهل كان هناك حديثٌ بين زهاركو وأندوروشكا؟ اصدُق القول.

ج: ذكّر المختار زهاركو عددَ العساكر والمدافع الموجودة في إيساقجي، وسمعتُ منه قوله: "اذْهَبْ إلى الجهة المقابلة، وأخبرْ بذلك"

س: قال لكم المختار زهاركو: خذوا أندوروشكا إلى الجهة الأخرى، ولدى عودتكم انزُكوا القارب في المكان الذي أخذتموه منه، وبعد ذلك لا عرّفتموني، ولا عرفتكم.

ج: نعم قال كذلك، وأضاف: "بعدَ عودتكم أطيبُ خاطرِكُم" ^(٤٣).

- محضر استجواب المدعو ديمتري ولد اغناط، من رعايا الدولة العلية المقيم في إيساقجي:

س: كيف أوصلتم أندوروشكا إلى الجهة الأخرى؟ ومن قال لكم: "خذوه إلى الجهة الأخرى؟". قُلْ بصدق.



ج: كنت نائماً ليلاً في بيتي عندما جاءني زهاركو المختار، وأندوروشكا كانا يحملان العرق، والدخان، والفرو. قال المختار: "سيذهب أندوروشكا هذا إلى الجهة الأخرى بطلب من المدير، ستأخذون المذكور إلى الجهة الأخرى". ترددت، وقلت: "أنا خائف"، لكنه عندما كرر طلب المدير ذلك، قمت أنا ورفيقي: ديمتري بنقل المذكور إلى الجهة الأخرى. سألني أندوروشكا، ونحن في القارب عن عدد العساكر في إيساقجي، ولما أخبرته بعدم معرفتي ذلك، قال: "أرسلني من الجهة الأخرى الجنرال للتقصي والتحقيق، وقد استفسرت من المختار: زهاركو، لكنني أريد منك أن تزودني بما عندك، فأجبتة أيضاً بعدم علمي شيئاً.

س: أنت من رعايا الدولة، وعرفت سوء نية المذكور، فلماذا لم تعد به إلى إيساقجي، وتبلغ المدير بذلك ليقبضوا عليه؟

ج: المذكور كان بيده سكين فخفا من العود، وبقينا يومين أو ثلاثة، لم نخبر بذلك أحداً، ولكن أدرنا أخيراً بأن الخبر سينتشر، فذهبنا وأخبرنا مختار اليهود: "هارونقه" بذلك، وبدوره نقل الخبر إلى المدير، وعلى إثر ذلك قبضوا علينا، وعلى المختار".

- محضر استجواب مختار القازاق: زهاركو ولد بوان، من أتباع الدولة العلية المقيم في إيساقجي:

س: عندما جاء أندوروشكا، وقال لك إنه جاء من طرف روسيا لجمع المعلومات وسيعود، فذكرت له عدد المدافع والعساكر الموجودة، ثم أخذت المذكور إلى بيت: ديمتري، وهناك أيقظتم ديمتري الآخر من نومه، وقلت له: هذا الرجل سيذهب إلى الجهة الأخرى بأمر من المدير، فأرسلته إلى الجهة الأخرى، وسرت معهما حتى شاطئ الدانوب، أذكر كيف حدث ذلك؟

ج: لم يأت المذكور إلى بيتي، بل قيل بأنه جاء إلى بيت القازاقي المدعو: زهاركو،

فجاء صاحب البيت، وأخبرني بأن أحداً يُريدني، فذهبتُ ووجدتُ أندوروشكا هناك. أخبرني بأنه جاء من الجهة الأخرى لجمع المعلومات، وأنه سيعودُ إلى هناك. قمنا من هناك وكانت الساعة حوالي السادسة مساءً (بالتوقيت الغربي)، وذهبنا إلى بيت ديمتري. أخبرَ المذكورُ ديمتري بأنه سيذهبُ إلى الجهة الأخرى، ويُعطيه كربوناً (ورق استنساخ). امتنعَ المذكوران عن نقل ذلك، وبَدَري طلبتُ منهما أن ينقلاه، لكنني لم أقل لهما إنه سيذهبُ بأمرٍ من المدير. سألتني عن عددِ العساكر، لكنني أجبتُه بعدم علمي بذلك.

س: كنت تعرفُ بأن أندوروشكا جاسوسٌ، ومع ذلك لم تخبرِ عنه، وكان واضحاً أنه سينقلُ معلوماتٍ إلى الروس عن أحوال إيساقجي، فهل يجوزُ منك أن تساعدَه على الذهاب إلى الجهة الأخرى؟

ج: في الحقيقة كنت أعرفُ ذلك، وكان عليّ الإخبارُ؛ كي يقبضوا عليه. أخطأتُ وأعترفُ بخطئي

- المواجهة:

بحضور المختار المذكور، تمَّ استدعاءُ أندوروشكا والربان: ديمتري، والربان الآخر: ديمتري، وتمَّ استجوابهم عن أخذِ المختار المذكور بأندوروشكا إلى بيت الربان: ديمتري، وعن طلبه منه أن يأخذه إلى الجهة الأخرى، وذكره لأندوروشكا عددَ العساكر. وأجابوا بأن أندوروشكا عندما جاء من الجهة الأخرى توجهَ مباشرةً إلى منزل المختار المذكور، وتحققَ منه عن عددِ العساكر، ثم ذهباً إلى بيت: ديمتري، وهناك قال لهما: "عليكما أن تأخذهما إلى الجهة الأخرى، سيذهبُ إلى هناك من طرف المدير". قال ذلك أمامَ المختار، كما قاله الربانان بهذه الصورة. عندئذٍ أجاب المختار: "لم يعد مجالٌ للإنكار، فالحقيقةُ أنه عندما جاء أندوروشكا من الجهة الأخرى نزل ضيفاً في بيت القازاقي المدعو: زهاركو، فذهبتُ أنا بعد ذلك، وجئتُ به إلى بيتي، وطلبتُ منه أن يذهبَ



إلى الجهة الأخرى، ويُخبر بعددِ العساكر والمدافع، ثم قمنا معًا وذهبنا إلى بيت: ديمتري، وطلبت أن ينقله إلى الجهة الأخرى، لكنني لم أقل لهما أنه مكلف بذلك من قبل المدير، كيلا يلحق بالمدير أي ضررٍ". أقرّ واعترف بذلك.

- استجواب المختار القازاقي: زهاركو مرةً أخرى.

س: يبدو أن هناك آخرين لهم علمٌ بهذا الموضوع؛ لأنه ليس من النوع الذي يُمكن أن ينجزَه أو يجرؤَ على القيام به شخص واحد، فالعقلُ يقول بهذا، فمن هم الآخرون؟ وكيف اتَّفقت معهم؟

ج: لأخي أفطودون، وسيميون أونوبري، وأخيه: زهاركو أونوبري، والقازاقي: يواكيم فنجر صانع القُدور الفخَّارية دخلَ في الموضوع. كنَّا مُتَقِّين جميعًا على إرسال أخبار، وإرسال أندوروشكا إلى الجهة الأخرى.

س: هل لديك علمٌ بيَّاني حولي بينك؟ وهل لآخرين دخل في الموضوع؟
ج: كانوا معًا في شراكة، لكني لا أعلم شيئًا عمَّا يقومون به، ولو عرفت شيئًا لما أخفيت عنكم.

سادسًا: محضر استجواب المدعو: أفتوده تودي الصديق الحميم للمختار القازاقي:
زهاركو في إيساقجي، ومن رعايا الدولة العلية:

س: اذكر ما تعلمه عن تردُّد أندوروشكا إلى الجهة الأخرى دون أن تُخفي شيئًا.
ج: لم يكن لي علم بذلك مطلقًا، ولم أعرف شيئًا عن ذهابِ أندوروشكا إلى الجهة الأخرى، ولا عن عودته، إلَّا وأنا في السجن.

س: إذا قال رفاقك وبحضورك بأن لك دخلًا في الموضوع، هل ترضى بمضاعفة عقوبتك، وتصرَّ على إنكارك؟

ج: لا علم لي بأيِّ شيء. اعملوا ما شئتم فأنا بين يديكم.

- المواجهة:

تم جلب زهاركو المختار، وأندوروشكا لمواجهة أفتودي تودي، ثم تمَّ استجواب الأخير عمَّا إذا كان يعلم شيئًا عن هذا الموضوع، فأجاب على مسمع ومرأى منهما؛ بأن أندوروشكا كان يذهبُ إلى الجهة الأخرى، ويعودُ وأنه يتجسَّس لصالح الجهة



الأخرى، وأنه عَلِمَ بأنه رَكِبَ قارب الديمترين مُؤخَّرًا، وذهب إلى الجهة الأخرى، هكذا لم يعدْ هناك مجالٌ أمام أفتودي تودي للإنكار، واعترف بأنه كان على علم بذلك، وأن الأشخاص الذين ذكرهم المختار القازاقي حول الموضوع كانوا أيضًا مُتورّطين ومشاركين.

- استجواب المدعو سيميون أونوبري من طائفة القازاقي؛ المُقيم في إيساقجي، ومن رعايا الدولة العليّة:

س: اذكر المعلومات التي لديك حول تردّد أندوروشكا إلى الجهة الأخرى، وتجسّسه دون أن تكتم شيئًا.

ج: لا أملك أية معلومات عن هذا الموضوع، اقطعوا رقبتني إن أردتم، حتى إنه عندما قُبِضَ عليهم، وخُبِسوا كنت في السجن في قضية أخرى، لقد افْتَرَوْا عليّ، فقالوا أنت معهم، وأرسلوني إلى بابا طاغ. لا أعلم شيئًا، ولا خبرَ عندي عن أي شيء. س: رفاقك اعترفوا بأنك على علم بذلك، وأنت متعاونٌ معهم. فإذا ذكروا ذلك في وجهك، وقالوا بأنك متعاونٌ معهم فهلّا ستكُفّر أيضًا؟ وهل تشعرُ بالراحة عندما تتضاعفُ عقوبتك.

ج: لا علم لي بأي شيءٍ حتى ولو وضعتُموني في القيد عشرين سنة، فسأقول: لا علم لي بشيء، فهذا افتراء، وقصد شخصي نُجاھي^(٤٤).

- المواجهة:

تمّ استدعاء أندوروشكا، والمختار: زهاركو، وصديقهم الحميم: أفتودي تودي، وتمّ استجوابهم وجهاً لوجه مع سيميون أونوبري عمّا إذا كان متورّطاً وعلى علم بهذه المسألة، أجابوا بأن لسيميون أونوبري هو الآخر دخلاً في المسألة، وعلى علم بها، حتى أن زهاركو المختار قال في وجهه "لقد ذهبت إلى بيت سيميون، ووجدت أندوروشكا هناك، فأخذته، وجئت به إلى بيتي"، كما ذكر أندوروشكا بأنه هو الآخر

ذهب إلى بيت سيميون، وجلس معه، وشرب معه الخمر، وقد أقرّ سيميون بذلك في أوّل الأمر، لكنه عادَ بعد ذلك فأنكرَ ما قاله، وأن أندوروشكا لم يأتِ إلى بيته وأنه لم يره. وأصرَّ على الإنكار. ولكن تبين أن لسيمون دخلاً وعلمًا بهذه المسألة وفقًا لأصول وقواعد الاستجواب.

- استجواب المدعو: زهاركو أونوبري من رعايا الدولة العلية؛ المقيم في إيساقجي، ومن طائفة القازاق:

س: اذكر ما تعرفه عن قيام أندوروشكا بالذهاب إلى الجهة الأخرى والعودة منها، وتجنّسه دون مؤاربة.

ج: كنت نائمًا في الليل، فجاء أندوروشكا، وناداني. خرجتُ من البيت، وسألته عن أي شيء تبحث، أجاب: أريد المختارَ في أمر، لكنني أخافُ أن أذهب إليه، ففي بيته عساكر، اذهب وأخضر المختارَ إليّ، ذهبت إليه فوجدته نائمًا، فأيقظته، وأخبرته بأن أندوروشكا يريده. كان بلباس النوم، فطلب مني التريث؛ كي يرتدي ملابسه، ثم دخل البيت وبدوري عدت فوجدت أندوروشكا واقفًا عند الباب، ثم جاء المختار، فسلم عليه، وسأله عن حاله، ثم قال المختار لأندوروشكا: هيا بنا إلى بيتنا، فأخذه وذهب. لم يكن أخي في البيت، بل كان في خدمة العسكر.

س: هل أخبرت أخاك بمجيء أندوروشكا، وأن المختار أخذه إليه، والمذكور غاب فترة، ألا تعرف أين كان، ومن أين جاء؟

ج: عندما جاء أخي أخبرته بمجيء المذكور، وعن أخذه من قبل المختار، والذهاب معه، لم يقل شيئًا، لكنني لم أكن أعرف أين كان المذكور، ومن أين جاء.

س: جلس أندوروشكا في بيتكم كما شرب الخمر مع أخيك وأنت تنكرُ هذا، وماذا يكون موقفك إذا أكّد الآخرون ذلك على سمع وبصر منك؟ ولن نصدّق ما ستقولُه فيما بعد.



ج: لم يدخل أندوروشكا إلى داخل بيتنا، ولم نشرب الخمر كما ذكرت سابقاً، ولا علم لي بأي شيء.

س: قيل بأنك على علم بتردد أندوروشكا إلى الجهة الأخرى، وقيامه بالتجسس، فهذا المختار، وأخوه، وأندوروشكا يقولون ذلك فما هو جوابك؟

ج: عليّ أن أقولَ الصدق بعد الآن. جاء أندوروشكا إلى بيتنا، وطلب المختار، فذهبتُ وناديْتُ المختار فجاء. ثم جلسنا فطلب أندوروشكا خمرًا، ثم أعطاه المختار كاربونًا (ورقة نسخ)، فذهب المذكور، وجاء بها، وكان في البيت سمك فأكلناه، وكان أخي سيمون أونوبري هو الآخر هناك. قال أندوروشكا بأن لروسيا عساكر كثيرة في قارتال، ولها أيضًا مقدار من العساكر في يني كوي ومناستر. عرفت من ذلك بأنه قديم من الجهة الأخرى، ثم ذكرت له بأن العساكر ذهبوا إلى باباطاغ، وأنه بقي عدد قليل من العساكر في إيساقجي، وأنا نقلنا مدفعين وخيام. س: هل كنت تعرف بأن أندوروشكا سيذهب إلى الجهة الأخرى مرةً أخرى للتجسس: ج: لا، لم أكن أعرف.

س: سبق وأن جاءك المختار، وحذرك من أن تخبر أحدًا بمجيء أندوروشكا، فلماذا لم تذهب إلى الضابط وتخبره بذلك؟ ج: صحيح، جاء المختار، ونبّهني بالأخبار أحدًا بذلك، فلم أخبر أحدًا.

- استجواب سيمون أونوبري مرةً أخرى.

ج: كنت جالسًا مع أخي عندما جاء أندوروشكا ليلاً، ذهب أخي ليأتي بالمختار: زهاركو، ولمّا كانت العلاقة بين صاحب بيتنا رومان كوراشكو، وبين المختار سيئة، فقد توارى عندما جاء المختار. جلسنا بعض الوقت، وأكلنا السمك، وتحادثنا، ثم أخذ المختار: زهاركو أندوروشكا إلى بيته، وانتهى الحديث فيما بيننا. س: ألم تكن تعلم لماذا جاء أندوروشكا، وإلى أين سيذهب مرةً أخرى؟

ج: لم أكن أعلم لماذا جاء، ولكن عندما ذهبت مع أخي في اليوم التالي لقطع الحطب سمعت من أخي بأن أندوروشكا جاء للاستخبار عن المدافع والعساكر، ولم أكن أعلم بأنه سيعود مرةً أخرى.

- سؤال زهاركو أونوبري مرةً أخرى:

س: في الليلة التي جاء فيها أندوروشكا، وكنتم تتحدثون عن العساكر، والمدافع التي بقيت في إيساقجي، هل كان أخوك حاضرًا، وهل سمع الحديث الذي كان دائرًا بينكم؟

ج: كان حاضرًا، لكنه سمع بعض الحديث، ولم يسمع بعضه؛ لأنه ذهب بعد ذلك إلى الإسطنبول لينام.

- المواجهة:

لدى مُواجهة المذكورين مرةً أخرى قال أندوروشكا والمختار في مُواجهة زهاركو أونوبري بأن سيميون أونوبري كان موجودًا أثناء الحديث، وسمع ما دار في الحديث، وهو على علم بالموضوع. كما اعترف أخوه بأنه سمع بعض الحديث، ولم يسمع بعضه. لكن سيميون أونوبري أصرَّ على الإنكار. إلا أن أصول الاستجواب أثبتت بأن المذكور كان على علم بما يدور أثناء الحديث.

- محضر استجواب: تيزدي يوركيفرمون ولد قسطنطين، المقيم في إيساقجي، ومن رعايا الدولة العلية.

س: هل تعرف ياني حولي وبابويولا؟ وهل بينك وبينهما ألفة ولقاء؟

ج: نعم أعرفهما على اعتبار كونهما مختارين.

س: هل التقيت بهما في بيت القازاقي: نيكيتا؟

ج: كان نيكيتا موجودًا، فهو صاحب خَمّارة، أعدموه قبل عامين، ولا أعرف نيكيتا



غيره، ولم ألتق في بيت: بابيولا بقازاقي آخر اسمه نيكيتا، ولا أعرفه.

س: قبل شهرين تقريباً جاء القازاقي: نيكيتا، والقازاقي: يانوف، والتاجر باني من قريتي قشله وليغوراش إلى إيساقجي، ونزلوا ضيوفاً على بابيولا، وفي تلك الليلة جئت أنت مع ياني حولي وآخرين إلى نفس البيت وتحادثتم، اذكر لنا موضوع الحديث.

ج: لم أذهب إلى هناك ليلاً، ولم أر الأشخاص الذين ذكرت أسماءهم. حتى إن لي ديناً على بابيولا، لذلك كانت العلاقة بيني وبينه مقطوعة، فلم أذهب إلى بيته.

س: أنت تعرف وضع كل من ياني حولي وبابيولا، وعرفنا أن لك دخلاً ومعلومات عن ذلك الموضوع، فمن هم رفاقك الآخرون، وإلى أين انتهيت؟ وكيف تصرفتم بعد ذلك؟ وكيف أرسلت إلى الجهة الأخرى أوراقاً ومعلومات؟ اذكر دون مؤاربة.

ج: لم يكن لي أي علم أو خبر بما كانوا يعملون. قُبض على ياني حولي، وذهب إلى طولجي، ثم جاء إلى إيساقجي مكبلاً، فرأيتهم مع آخرين، وهو مكبل وعرفت منه شخصياً ما ارتكبه ذلك الوقت.

س: تكلم بصدق، فالإنكار ليس في صالحك، فقد عرفنا أن لك دخلاً في المسألة.

ج: لا دخل لي في المسألة قطعاً وإذا كان لي دخل فربتي أرفع من الشعرة (كناية عن إمكانية قطعها) ^(٤٥).

- استجواب الخمّار قسطنطين ولد ميخائيل، المقيم في إيساقجي، ومن رعايا الدولة العلية:

وَجَّهَتْ إلى المذكور الأسئلة نفسها الموجهة إلى يوركي فرمسون، فردّ بنفس الجواب، وأصرّ على الإنكار.

- أُعيد سؤال المختار: زهاركو:

س: عرفنا بأن البقال: أوستيان، والبقال: فرجينتي يعرفان هذه المسألة، وأنهما يلتقيان بك دائماً. قل ودون أي إنكار أو مؤاربة، فستحظى بالعفو؛ لأنك تقول الصدق،

اذكُرُ أسماء الآخرين المتورّطين في المسألة، وبمن يتّصلون؟ ومن من الآخرين غير أندوروشكا يتردّدون إلى الجهة الأخرى؟

ج: لا علم بالبقال المذكور بهذه المسألة أبدًا. وحتى لو علم فأنا لا أعرف ذلك، كما لا أعرف من يتخابر مع الجهة الأخرى، وما من أحد يتردّد إلى الجهة الأخرى سوى أندوروشكا، ولو كان غيره لذكرته.

- استجواب البقال: أوستيان ولد ماركو المقيم في إيساقجي، ومن رعايا الدولة العلية:

س: هل لك صلة بالمختار: القازاقي زهاركو؟ وهل تعرفه؟

ج: ليس لي أي صلة به، ولا أعرفه.

س: قيل: بأن لك علمًا بتردّد أندوروشكا إلى الجهة الأخرى، قل كيف كان ذلك دون مؤاربة.

ج: ليس لي أي علم بتردّده إلى الجهة الأخرى، ولا أعرف عن ذلك شيئًا، فإذا ثبت بأنني أعلم ذلك، فإن رقبتني أرفع من شعرة.

س: إذا جننا بأندوروشكا والمختار، وقالّا معًا أمامك بأن لك علمًا بالمسألة، فماذا ستقول بعد ذلك؟

ج: إذا قالّا ذلك، فسأقول ليس لي أي علم بذلك، وإذا افترى عليّ، فجزاهما الله بما يستحقّان.

- استجواب البقال: يوركي ولد صوفرون المقيم في إيساقجي، ومن رعايا الدولة العلية:

وهو الآخر أنكر على شاكلة البقال: أوستيان، وأكّد على أنه لا يعلم شيئًا عن المسألة.

- ما أفاد به أندوروشكا بحقّ قازاقيين قد قبض عليهما في طولجي مؤخرًا:



- لَمَّا علمت بأن المدعو: كاليم القازاقي المقيم في طولجي، ومن رعايا الدولة العلّية سيق، وأنه نقل رجالاً إلى الجهة الأخرى، أردتُ أن أحصل على معلومات من رجلين قازاقيين، كنتُ أبحثُ عنهما، فذهبنا معاً بالإضافة إلى الأونباشي في لواء التتار سعيد الذي يرتدي الزي القازاقي، ويجيد اللغة القازاقية، والمدعو: علي بك العنصر في ضبطينة كويتا إلى بيت المذكور ليلاً، فذكرتُ له بأنني أريدُ العبورَ مع رفاقي إلى الجهة الأخرى، فهل لديك من حلٍّ؟ وهل يمكنكُ أن تعبرَ بنا إلى الجهة الأخرى؟ أجاب كاليم: "هذا أمر سهل جداً. فأنا آخذُ كثيراً من الناس إلى الجهة الأخرى، كما آخذُ أناساً من الجهة الأخرى، وأتي بهم إلى هنا. ولكن لا يمكن ذلك من هنا، بل عن طريق رجل أعرفه بقرية: بيش تبه، آخذكم بعربة إلى هناك، وأنقلكم بواسطته إلى الجهة الأخرى. ولنا هناك قارب. قلتُ له: "إذا قمتُ بذلك أعطيك خمسمائة قرش"، فرضي وتعهّد بذلك. قمنا من هناك، وعدنا وذكرنا ما كان إلى الباش آغا القواس والبكباشي محمد أفندي، وبعد ذلك في حوالي الساعة الحادية عشر ذهب سعيد، وعلي بك لمقابلة صديق المذكور، ومعرفة اسم الرجل الموجود بقرية: بيش تبه، فركب سعيد العربة مع كاليم، وركبتُ أنا وعلي بك في عربة أخرى، وتوجّهنا معاً إلى بيت كاليم، ثم عاودوا لاستئجار عربةٍ أخرى، ولَمَّا وصلَ سعيدُ إلى بيت كاليم لركوب عربته وجدَ هناك القازاقي: بوان صديق كاليم المذكور، وجاءت العربة، وهموا بركوبها، فظهرَ البكباشي مع العساكر، وعلي بك مع الضبطينة، فقبضوا على المذكورين، وبذلك تأكّد قيامهم بنقل الرجال إلى الجهة الأخرى، كما تبينَ بأن هؤلاء هم الذين نقلوا القازاقيين اللذين كنا نتحرّى عنهما. وقد اعترفوا بذلك^(٤٦).

- استجواب القازاقي: كاليم ولد ميخائيل المقيم في طولجي، وهو من رعايا الدولة

العلية:

س: أتعرف أندوروشكا وصديقيه سعيدًا وعليًا؟

ج: أعرف أندوروشكا، ولم أكن أعرف المذكورين، ولكن قبل ثلاثة أيام جاؤوا إليّ فعرفتهم من ذلك الوقت.

س: لماذا جاؤوا إليك قبل ثلاثة أيام؟

ج: جاءني أندوروشكا هذا مع صديقه ذي اللحية إلى بيتي قبل الفجر، وطرقا النافذة، وكنت أعرف أندوروشكا قبل ذلك، فعرفني بنفسه، وسأل عن قازاقي اسمه: رميت، فأجبته بأن المذكور ذهب إلى الجهة الأخرى، وعاد عدة مرّات، لكنه لم يظهر منذ مدةٍ، وأظنّ أنه قبض عليه. ثم قال أندوروشكا: "سأذهب مع رفاقي إلى الجهة الأخرى، هل يمكنك أن تعبر بنا إلى هناك؟ أجبت: "كنت قبل الحرب آتي بالرجال من الجهة الأخرى إلى هنا، لكني لا أستطيع ذلك الآن. إلا أن في جيش تبه رجلاً اسمه: بوغوريلا، وله قارب صغير يعبرُ بالرجال إلى الجهة الأخرى، اذهب إليه فسينقلك إلى هناك"، فقال أندوروشكا: "أعطيك خمسمائة قرش، فانقلنا إلى هناك"، رضيت بذلك، لكني كنت أخاف أن أذهب وحدي، فأردت أن يكون معي صديق قازاقي، فذهبت إلى بيته وذكرت له المسألة، فتردّد في أول الأمر، لكنه رضي أخيراً، فجاء إلى بيتنا قبل الصباح، كما جاء سعيدٌ هو الآخر. وأنا ذاهب لسقي الحصان قبضوا عليّ في الطريق، كما قبضوا على بوان وسعيد في بيتنا.

س: لو افترضنا أنك نقلت أندوروشكا ورفاقه إلى جيش تبه، فهل كنت تنقلهم إلى الجهة الأخرى إذا لم تجد بوغوريلا هناك؟

ج: حال لم نجده هناك كنت سأقول لهم: "هذا كل ما أمكنني القيام به، دبروا أمركم"، ثم أعود، فإذا ضغطوا عليّ، قمت بإخبار العساكر الموجودين في نقاط المراقبة بما يجري"

س: ماهي المسافة من هنا إلى جيش تبه؟



ج: خمس ساعات.

س: وهل يُعطون أجرة خمسمائة قرشٍ لعربةٍ تنقلهم مسافةَ خمس ساعات؟ هذا يدلُّ على أنك تعرف الهدفَ من سفرهم إلى هناك، فهل كنت ستنقلهم إلى هناك على الرغم من معرفتك ذلك؟ قل بصدق.

ج: لم أكن أعرف لماذا سيذهبون إلى هناك، وما كنت سأنقلهم إلى الجهة الأخرى. لكن طمعي بالخمسمائة قرشٍ دفعني إلى قبول ذلك.

س: لأنك رجل طيب، وعرفت ممّا سيدفعونه أنهم أناس سيئون، أو أنهم سيفرون، فلم لم تُخبر الضابط ليقبض عليهم؟

ج: إنني مُذنب؛ لأنني تعهدتُ بنقلهم في مثل هذا الوقت، ولم أخبر الضابط بذلك.

س: عرفنا أنك قلت لأندوروشكا ورفاقه: "أنقل أناسًا إلى الجهة الأخرى، وآتي بهم من هناك في كلِّ وقت، حتى إنني نقلت بالأمس اثنين من القازاق"، انكُر لنا اسمي هذين القازاقين بصدق.

ج: كنت أساعدُ على تهريبٍ من الجهة الأخرى إلى هذه الجهة قبل الحرب، لكنني لم أنقل بعد ذلك من هنا إلى هناك، ولم آتِ بأحدٍ من هناك إلى هنا.

س: تقول بأنك لم تأتِ بأحدٍ بعد الحرب، وتقول أيضًا: "ليس لي قارب، ولكن أملكُ حصانًا" وإذا لم يكن لك قارب، فكيف كنت تنقلُ الرجال؟

ج: كنت شريكًا لصديقي: يوان على قارب، فنقلهم به، لكنني قبل أربعة شهور بعثُ القارب المذكور لبائعِ خُمور مولدوفي - لا أعرف اسمه - بأربعمائة وعشرين قرشًا.

- استجواب يوان ولد يوان من طائفة القازاق، المقيم في طولجي، ومن رعايا الدولة العلية العثمانية:

س: لماذا قبضوا عليك؟

ج: جاء كاليم القازاقي إلى بيتي، وقال "سأُنقل شخصين على بيش تبه، تعالَ معي".
 س: فلمّا قلتُ له: "لن أستطيع الذهاب إلى هناك"، ردّ قائلاً: "تعالَ معي إلى منتصفِ الطريق، وخذ العربةَ وعدّ، فنحن نكمل الطريقَ سيراً على الأقدام، ثم إنك مدين لي بعشرين قرشاً، أتنازل عنه، وأعطيك فوقه أربعين قرشاً"، عندئذٍ رضيت، ثم ذهبنا معه إلى بيته. وبعد ذلك جاء رجل، فتحدثَ مع كاليم. ولمّا قال: "سنستأجر عربة"، أجاب كاليم: "لا حاجةَ لاستئجار عربة، فها هي عربتي تكفي، ولكن كم ستعطونني، ففكرَ ملياً، ثم قال: "سُنعطيك المبلغَ الذي اتّفقت عليه مع صديقي، ونظرًا لعدمِ حملي المال، فليأتِ صديقي، ويعطيك العربون"، ثم ما لبثَ أن جاء صديقه، فعَدَّ بعضَ النقود ووضَعها على أرجوحة. قال لي: "خذ"، لكنّ كاليم كان ذاهبًا لسقي الحصان، قلت: "ليأتِ، ويأخذ". قلت في نفسي: هؤلاء ليسوا أناسًا طبيعيين، وذهابهم ليس أمرًا طبيعيًّا، فدخلت الوسائسَ في نفسي، ولكن ما لبثَ أن جاء العساكر، وقَبضوا علينا.

س: هل ذهبت مع كالين إلى بيش تبه في هذه الأيام؟
 ج: لم يكن لي أيُّ سفرٍ إلى هناك هذه الأيام سوى أنني أخدمُ صيادي السمك، فذهبت إلى هناك مع المذكور لهذه الغاية.
 س: هل تملكُ قاربًا؟

ج: لي قارب، لكنه مَسحوب إلى البرِّ قربِ كارانتي ناهانا. وكان لي مع المذكور قارب مُشترك، بعناه قبل ستة شهور بأربعمائة وعشرين قرشاً.

س: هل تعرفُ يوان بوغوريلا في بيش تبه؟
 ج: سمعتُ باسمه، لكنني لم أره، ولم أحادثه.
 س: بلغنا أنك تعرفُ المذكورَ، حتى إنك مع صديقك: كاليم ويوان بوغوريلا نقلتُم رجالًا من الجهة الأخرى إلى هذه الجهة، وحتى إنك جنّت قبل عشرة أيام باثنين من القازاق، اذكر هذه الناحية بصدق.



ج: لا أعرف المذكور، ولم أنقل أحدًا مع كاليم. فلا دخل لي في مثل هذه الأمر بصورة قطعية.

س: هل ذكر لك كاليم بأن له على هؤلاء الرجال خمسمائة قرش؟
ج: نعم، ذكر ذلك.

س: ألم تعرف بعد ذلك أن هؤلاء أناس سيئون، أو أنهم سيفرون؟ لأنه ما من أحد يدفع لمثل هذه المسافة خمسمائة قرش سدى.

ج: الحقيقة أنني عرفت بأنهم أناس سيئون. وأنا مذنب من هذه الناحية، والحق معكم.
س: بلغنا بأنك قلت: "في حال لم تجدوا يوان بوغوريلا في بيش تبه، فلنا رجل آخر هناك"، فمن هو هذا الرجل؟

ج: أنا لم أقل مثل هذا الكلام، وليس من أحد أعرفه من هذا القبيل^(٤٧).

- المواجهة:

لما كان مؤكدا على إثر استجواب أندوروشكا بأن كاليم ويوان سينكران اتفقا، وما تحدثا به حتى بعد القبض عليهما، فقد جننا بكل من سعيد وعلي، وهما يرتديان زي القازاق بمرافقة أندوروشكا للشهادة وبمواجهتهم، سألنا أندوروشكا، فقال: "بأنهما نقلًا رجالًا من هذه الجهة إلى الجهة الأخرى، ومن الجهة الأخرى إلى هذه الجهة أكثر من مرة، حتى إنهما نقلًا في وقت قريب اثنين من القازاق، وأنهما متفاهمان مع يوان بوغوريلا في بيش تبه، وأنا إذا لم نجد يوان بوغوريلا في بيش تبه، فله رفاق آخرون، وأنهم سينقلونا إلى الجهة الأخرى بمعرفتهم، وأنه إذا كان له قارب في مكان قريب من طولجي، فقد دفعهم خوفهم إلى إغراقه في البحر"، فكرر ما أفاد به سابقًا في مواجهتهم، كما شهد وأكد على ما أفاد به أندوروشكا كل من سعيد وعلي. وعلى أثر ذلك سئل: "ماذا ستقولان بعد ذلك؟"، عندئذ أقرّا واعترفًا بما ذكر أعلاه، بأنهما كانا سينقلان المذكورين إلى بيش تبه بخمسمائة قرش بمعرفة يوان بوغوريلا،

لكنَّهما أنكرَا ما ذكره عن القارب الغارق، وأنهما يَنْقلان الرجال دائماً، وأنهما نقلًا مُؤخَّراً اثنين مِنَ القازاق، ومع ذلك فإنَّ أصولَ الاستجواب دلَّت على تورِّطهما.

- استجواب صانع الخزف القازاقي: يواكيم ولد نيكولا؛ المقيم في إيساقجي، ومن رعايا الدولة العلية:

س: هل تعرفُ أندوروشكا، والمختار: زهاركو؟ وهل بينكم اتِّصال وعلاقة؟

ج: أعرف زهاركو، لكنني لا أعرف أندوروشكا.

س: بلغنا أنك ذات ليلة كنتَ مع أندوروشكا وزهاركو ورفاق آخرين لهما، وجرى بينكم حديث، فلماذا تُنكر هذا، وتقول: "لا أعرف أندوروشكا؟".

ج: لا أعلم ولا أعرف، ولم ألتقِ بهم، أو أتحدث معهم.

س: إذا جاء الآنَ كلُّ من أندوروشكا وزهاركو، وقالوا: "تعرفُ هذا الرجل، وكنا نتحدَّث معه دائماً، وقال ذلك أصدقاؤك الآخرون، فماذا ستقول؟ وثمة أسئلة أخرى، وستقدُّ ثقتنا بما ستقولُه لاحقاً؟

ج: لا أعرف أندوروشكا، ولم يكن لي أي حديث معه، ومع المختار. فأنا إنسان لا أتدخلُ في أيِّ شيء، ولا أعلم شيئاً.

س: بلغنا بأن أندوروشكا عندما جاء من الجهة الأخرى للتجسس ذهب بدايةً إلى بيت المدعو: زهاركو أونوبري، ثم ذهب إلى بيت المختار، ثم استعلم عن عدد المدافع والعساكر في إيساقجي، فقَدِّمت له المعلومات المطلوبة. وبعد ذلك عاد المذكور إلى الجهة الأخرى في قارب يملكها الديمترين، وكنت في ذلك على قول واحد مع المختار وغيره، وتقول الآن: "لا أعرف أندوروشكا"، فإنكار ذلك يدعو إلى الشكِّ، فإذا أنكرت هذه الناحية، فإنهم سيعترفون بذلك على مرأى ومسمع منك. فماذا ستقول بعد ذلك؟

ج: أنا لم أقم بمثل ما ذكرت، وسبب هذا الافتراء من أندوروشكا عليّ هو: أنني رجل



لا أعرفه، جاء ذات ليلة إلى بيتي، وسأل عن المختار، وكان بيده مسدس، أخبرته بأن المختار قبض عليه، فأعطاني المسدس، وقال: "اجلس أنت وسأتي بعد قليل، فأخبرت المدير. جاؤوا، ولم يجدوا المذكور. سلمتهم المسدس، بحث الضبطية هنا وهناك، فوجدوه، وقبضوا عليه. فهذا هو سبب افترائه عليّ.

- المواجهة:

وعلى إثر ما أفاد به المذكور استدعينا أندوروشكا، والمختار: زهاركو، وصديقه: أفتودي تودي، وبمواجهته أعاد أندوروشكا ما أفاد به سابقاً، وقال في مواجهته: "عندما ذهبت إلى بيت المختار، وجدت هناك يواكيم الفخاري، وكان على علم بما تحدثنا"، كما أفاد المختار بقوله: "عندما جئت بأندوروشكا وبوغوريلا، كان يواكيم هناك. لكنه لم يتحدث مع أندوروشكا في هذا الموضوع، لكنني أخبرته يواكيم بهدف أندوروشكا من القدوم"، ذكر هذا على مَرَأى ومسمع من المذكور. كما أفاد صديق المختار: أفتودي تودي: "عندما جاء أندوروشكا كان المذكور في بيتنا وكنا نائمين، فجاء المختار بأندوروشكا، أشعل شمعاً فاستيقظنا، ورأينا المذكور. لكن يواكيم لم يحدث أندوروشكا، كما لم يذكر صديقي شيئاً له. وحتى لو لم يكن يواكيم يعلم شيئاً حول الموضوع، فقد رأى أندوروشكا في بيتنا تلك الليلة واليوم التالي"، قالها في مواجهة يواكيم. عندئذ أصرَّ يواكيم على القول: "أنا لم أر أندوروشكا، ولم أكلّمه، ولا أعلم أي شيء. فلكون زهاركو مختاراً فكثير من الناس يترددون إليه، وأندوروشكا لا أعرفه، ولم أتعرف عليه. لا علم لي بأي شيء"، ولكن ثبت ممّا قاله المختار وصديقه أفتودي تودي رؤيته لأندوروشكا في بيت المختار، غير أنه لم يتبين حسب الاستجواب تورطه في القضية، ولم يستطع إزالة الشبهات عنه بإنكاره رؤيته أندوروشكا. فقد تبين من إقراره مع وجود أندوروشكا في بيت المختار: زهاركو بالحديث الذي دار حول

وجود أربعة مدافع، وأربعة آلاف عسكري في إيساقجي أنه مُتورط في القضية.

- استجواب المدعو: كيركور ولد بيرانوس، أرمني الأصل، روسي الجنسية، من سكان إسماعيل أصلاً، ويُقيم منذُ تسعة أعوام في طولجي، والذي ذكرَ بأن أندوروشكا يُرسل رسائل بشكلٍ مُتواصل إلى إسماعيل للتخاير مع ضابط روسي، مما ساعد في القبض عليه.

س: ما نوع تجارتك هنا؟ وما مهنتك؟

ج: التكسب ببيع الخمر والمشروبات الكحولية الأخرى بالجملة.

س: هل تتبع أحدًا أم أنك مُستقل؟

ج: أعمل لوحدي مُستقلًا.

س: تشير التحقيقات التي أجريناها بأنك من رجال التاجر: كرابيت في إسماعيل.

ج: لست تابعًا للمذكور، لكنه شريك أخي، وكنت سابقًا في خدمة أخي لذلك، فالكل يظنُّ بأنني من رجال المذكور.

س: أين أخوك طاطوس الآن؟

ج: البعض يقول بأنه في إسماعيل، وآخرون يقولون بأنه في إسطنبول، لكني لا أعرفُ أين هو الآن بالضبط.

س: هل كنت ترسل أخاك طاطوس وكرابيت المذكور في السابق بهدف البيع والشراء؟

ج: لم أرسل أخي منذُ انفصالي عن خدمته، كما لم أرسل كرابيت المذكور. ولكن



ذات مرة جاءت رسالة من كرابيت حول سفينة، لكنني لم أرد الجواب بسبب فرض الحجر الصحي.

س: هل لك علاقةً وتعاملٌ مع يانكو سيموبلي؟

ج: لا علاقةً لي بالمذكور ولا تعامل، ولكن نعرفُ بعضنا بعضاً من بعيدٍ.

س: بلغنا بأنك على علاقة وتعامل مع يانكو سيموبلي، وأنتك اتّقت مع أخيك نيشان والمذكور، وعرفتُ بعض الأمور، وكتبتم رسائلَ إلى الضابط الروسي في إسماعيل؟

ج: أنا لم أقم بمثل هذه الحركات، ولا أعرفُ أنهما يكتبان، فإذا تبينَ أنني قمتُ بذلك فرقتي أرفعُ من الشعرة.

س: لقد سمع جاسوسنا الذي يتردّد على إسماعيل من فم الضابط الروسي بأنكم تكتبون مثل هذه الرسائل؛ لذلك قبضوا عليك. وإذا لم يكن ذلك صحيحاً، فمن أين يعرفك جاسوسنا، ويعرفهم ويُخبر عنكم؟

ج: أنا لم أقم بمثل هذه الأعمال غير المقبولة، ولن أقومَ بها، ولن أقبلَ بذلك، حقّقوا في أمري، فإذا ثبتَ لكم ذلك أعدموني. لقد خرجتُ من إسماعيل، وأنا في سن الخامسة عشرة، ولم تطأ قدمي أرضَ روسيا، أعيشُ حتى الآن بفضلِ السلطان في أرضه ومُلكه. هذا افتراء عليّ لا أقبله.

- استجواب المدعو: نيشان ولد بيرانوس، إسماعيلي الأصل، روسي الجنسية، وهو الذي اعترف أندوروشكا بأنه: "يكتب رسائل إلى إسماعيل"، وأخو كيركور المذكور اسمه أعلاه، فقُبِضَ عليه.

س: بماذا تُتاجرُ هنا؟

ج: أبيع وأشتري الخُمورَ.

س: كم مَضَى عليك وأنت في هذا البلد؟

ج: أنا هنا منذ تسعة أعوام.

س: هل أقمتَ في سُولينا (رومانيا)، ومتى أُتيتَ مِنْ هناك؟

ج: لم أقم هناك، بل أترددُ عليها كلما احتجْتُ إلى ذلك.

الأسئلة التي وُجِّهَتْ إلى أخيه، وُجِّهَتْ إليه أيضاً، لكنه ردَّ بنفس الجواب، وأنكرَ ما وُجِّهَ إليه، فلمَ نتمكنُ مِنَ الحصولِ على أيِّ شيءٍ منهما" (٤٨)

وبعدَ الانتهاءِ من التحقيقات السابقة في قضية التجسس المذكورة، أصدر المجلس المكلفُ بالتحقيقات مِنَ المدعويين: عثمان فهمي، وعلي ناظم، وخان ميرزا، لائحة الاتهام بتاريخ ٥ ربيع ثانٍ، عام ١٢٧٠هـ، الموافق ٥ يناير ١٨٥٤م، وجاء فيها: "تبَيَّنَ مِنَ الاستجابات والتحقيقات أعلاه، بأن أندوروشكا خائنٌ، ومن الأشخاص الخطرين، ومن شذاذ الآفاق، تجرأً على التجسسِ ضدَّ دولته التي يتبعُها، وضدَّ وليِّ نعمته، كما أن مختار القازاق: زهاركو مُتعاون ومُعِين لأندوروشكا، وقَدَّمَ له المعلومات، وسهَّلَ له، وهَيَّأَ له أسبابَ التنقل بين الجانبين، كما أن صديق المختار المذكور: أفتوده تودي هو الآخر مُتورِّطٌ في القضية، وكذلك ديمتري ذو الحية، وديمتري الآخر خالفاً للممنوع، بنقل الرجال بين الجانبين، بالإضافة إلى نقلهما أندوروشكا إلى الجهة الأخرى، مع علمهما التام بالمهمة التي يقومُ بها أندوروشكا، ونقلهما له ليلاً إلى الجهة الأخرى دليل على خيانتِهما، وثبُتَتْ علاقتهما ومدخلُهما بالقضية المذكورة، وأن أندوروشكا كلما جاء من الجهة الأخرى توجهَّ أولاً إلى بيت سيميون أونوبري، فيطلبان أخاه زهاركو أونوبري إلى البيت، فيتحدثون حول المدافع



والعساكر المتبقية في إيساقجي. كما يُقيمون موائد السكر والخمر. فقد تحقّق بأنهم من المنحرفين أخلاقياً، ولم يثبت بشكل واضح أن صانع الأواني الفخارية: يواكيم كان على علم بما يجري، ولكن إنكاره بقوله عندما جاء أندوروشكا إلى بيت زهاركو: "لم أكن هناك، ولا أعرف المذكور، ولم أره" لم يُزل عنه الشبهة. وفيما يتعلّق ببياني حولي؛ فإن الدّميّن المدعويّن الخياط: يوركي كارامسون، والخمّار: كونستانتين، والخمّار الآخر: كوستاكي، والمفتاحي: نيكولوجه الذي قال عنهم أندوروشكا، "وهؤلاء أيضاً متورّطون لقد سمعت ذلك من سيمون بابيول في الجهة الأخرى"، وجعل السلطات تقبض عليهم، فقد أنكروا ما أسند إليهم، كما أنه لم يثبت أي شيء ممّا قاله أندوروشكا بحقهم، فبرئت دمتهم، كما أن البقال: أوسيتيان، والبقال الآخر: يوركي اللذين قال عنهما ربّان القارب: ديمتري بأن "لهما علاقة بالمختار: زهاركو، وبالتالي فهم أيضاً متورّطون في القضية"، وتمّ القبض عليهما على هذا الأساس بصفة مشتبهين، لم يثبت عليهما أي مستمسك قانوني، فتقرّرت براءة دمتهم. وفيما يتعلّق بالمدعويّن الأرمنيّن: روسي الجنسية: كيركور، وأخيه: نيشان اللذين قال عنهما أندوروشكا: "لقد سمعت من الضباط المذكورين هناك بأنهما يكتبان الضباط الروس في إسماعيل، وقبض عليهما بهذه التهمة فقد أنكرا ما أسند إليهما بصورة كلية، ولم يثبت عليهما أي مستمسك (سند أو حجة) قانوني، بل كان ذلك عبارة عن مسموعات فحسب، فلم تُؤخذ بالاعتبار، ذلك لأنه لو افترضنا أنهما كاتبان وخابرا الضباط الروس المذكورين، فإنه من غير المعقول أن يفشي هؤلاء الضباط مثل هذه الأسرار لرجل مثل: أندوروشكا، فلم يثبت عليهما أي شيء من هذا القبيل. كما أن القازاقي: كاليم، وصديقه القازاقي أيضاً: يوان اللذين قبض عليهما؛ بناءً على ما قاله أندوروشكا بأنهما "كانا يتغلان الرجل من وإلى الجهة الأخرى، فقبض عليهما في طولجي، وجرى إرفاق أندوروشكا

بأثنين من العساكر على أنهما من رفاق أندوروشكا، على أنهما سينقلانه إلى بيش تبه (في رومانيا)، بواسطة المدعو: يوان بوغوريل، فقد تبين اشتراكهما، وتورطهما في القضية. وقد جرى البحث عن يوان المذكور، ولكن لم يُعثر عليه. يُرجى التفضل بالاطلاع والأمر لحضرة من له الأمر" (٤٩).

وقام مجلس القضاء العالي بإرسال ملف أوراق القضية إلى قائد جيش الروميلي المشير عمر لطفي بمدينة شومني، وأرفقها بمذكرة جاء فيها: "سردنا سلفاً التفاصيل المتعلقة بالأشخاص التسعة الذين تم القبض عليهم بتهمة التجسس لصالح الروس في جهات إيساقجي، واستجوابهم في المجلس الخاص المنعقد في طولجي، ثم في المجلس الكبير الخاص المنعقد في شومني بأن المدعويين: أندوروشكا، وزهاركو ارتكبا جريمة التجسس لصالح العدو قولاً وفعلاً، كما أن السبعة الآخرين ثبت ارتكابهم جريمة التجسس قولاً، وقد أعدّ المجلس المنعقد المذكور محضراً أوضح فيه تبين تجسسهم بنتيجة استجوابهم، وثبتت تهمهم، وصدرت الإرادة السنية بالموافقة على إيقاع عقوبة القتل في الاثنين برميها بالرصاص حتى الموت، واستبدال عقوبة القتل في السبعة الآخرين بالنفي والتغريب المؤبد، وإرسالهم مخفولين إلى دار السعادة مع عوائلهم لنقلهم بعد ذلك إلى مكان مناسب في الأناضول، وقد أرسلنا ملف أوراق القضية؛ كي يتفضل حضرة المشير قائد الجيش بالاطلاع، مع الإشارة إلى اقتراحنا بالإعلان عنهم، وعن جرائمهم من قبل المأمورين المدنيين في سواحل نهر الدانوب، وكذلك من قبل حكومة أدنه؛ كيلاً يجرؤ أحد بعد الآن على ارتكاب مثل هذه الفضائح. والأمر لحضرة ولي الأمر" (٥٠).

وهذا ما استتبعه مذكرة من قائد الجيش المذكور إلى مقام الصدارة السامية بالقضية برمتها، والتي بدورها أعدت مذكرة لرفعها للسلطان، جاء فيها: "يُستفاد من



المحضر المعيّ من قبل مجلس القضاء العالي المرفق المرفوع، مع مذكرة حضرة الباشا قائد الجيش للتفّض بالمنظور العالي لحضرة السلطان، ثبوت ارتكاب شخصين جريمة التجسس فعلاً وقولاً بنتيجة المحاكمة، وقتلهما رمياً بالرصاص، والحكم بالنفي، والتغريب المؤبدتين لسبعة آخرين، ارتكبا جريمة التجسس قولاً، وإرسالهم مع عوائلهم إلى دار السعادة، وإسكانهم في جهات أضنه على ألا يعودوا إلى مواطنهم أبداً، هذا وأطلع السلطان على المذكرة المقدمة مع المحضر، وصدرت الإرادة السنية بالموافقة على تبليغ حضرة الباشا قائد الجيش؛ ليصار إلى تنفيذ طرد ودفع السبعة المذكورة أسماؤهم ونفيهم وتغريبهم مع عوائلهم^(٥١).

ويُتَّضح من مطالعة التحقيقات بقضية التجسس المذكورة سلفاً:

- الجاسوس هو الشخص الذي يعمل في الخفاء، أو تحت شعار كاذب؛ ليحصل على معلومات عن العمليات العسكرية لدولة مُحاربة بهدف إيصالها للعدو، ويبدو أن الجواسيس يعملون في وقت الحرب والسلم، ويحصلون على معلومات لتعزيز جبهة الدولة التي يتجسسون لحسابها، ولخدمة مصالحها السياسية والإستراتيجية.
- تشديد الباب العالي على عمليات التجسس، وتكثيف مكافحتها في مراحل التحضير للحرب، وزيادة أنشطة المراقبة لمنع تسرب العدو إلى صفوف الجيش.
- القبض على كل من يُشتبه في كونه جاسوساً أو مُسترقاً لأخبار الجيش، وإنزال العقوبة فيمن يثبت تورطه في عملية تجسس بعد عدة جلسات من التحقيقات.
- سلطات التحقيق العثمانية كانوا يتبعون أسلوب التسلسل في الوقعات، ويستغلون الثغرات في إفادات المتهمين، فضلاً عن المواجهة بين المتهمين،

للوصول إلى القناعة التامة في تورط المتهمين بأعمال التجسس:

- عدم أخذ سلطات التحقيق العثمانية بالتهم الكلامية، واعتمادها بدون سند وأدلة قانونية، كذلك عدم الحكم على المتهمين بالتجسس إلا بعد ثبوت ارتكابهم للتجسس قولًا وفعلاً.

- يلاحظ أن الجاسوس المذكور: "أندوروشكا"، ومن دَعمه، أو ساعده كانوا من فئة مُدمني الخمر أو بائعيها، وبمعنى آخر: من المنحرفين أخلاقياً، وممن ضُغفت فيهم الحمية الوطنية، وسهل شراؤهم من قبل العدو بالمال.

- بالنسبة لنتيجة التحقيق والمحاكمة نلاحظ إصدار أحكام مختلفة في الجواسيس وذويهم على اعتبار كونهم مواطنين عثمانيين، فيقررون إعدام الجواسيس بعد ثبوت التهمة عليهم، ونفي ذويهم الذين تسترؤا عليهم بشكل من الأشكال إلى مناطق بعيدة جداً عن مواطنهم، حيث تقرّر نفي ذوي الجاسوس أندوروشكا إلى جهات أضعه التي تبعد آلاف الكيلومترات عن بلادهم الأصلية، ووضعهم تحت الإقامة في مناهم، على ألا يعودوا إلى مواطنهم أبداً.

- بعد ثبوت إدانة المتهمين بالتجسس، تقرّر الإعلان عن أسمائهم وجرائمهم من قبل المأمورين المدنيين في سواحل نهر الدانوب، وكذلك من قبل حكومة أدرنه، كطريقة لردع رعايا الدولة، كيلا يجرؤ أحد بعد ذلك على ارتكاب مثل هذه الفضائح، وإفشاء الأسرار الوطنية.



الخاتمة:

- وبعد العرض لموضوع الجاسوسية، والصراع بين الدول الكبرى: قضية تجسس داخل الأراضي العثمانية، لصالح روسيا عام ١٨٥٣م من واقع الوثائق العثمانية، كان لا بُدَّ من الخروج بمجموعة من النتائج حتى تعمَّ الفائدة من هذا البحث، ومن أبرزها:
- كانت روسيا تطمحُ بأنظارها إلى امتلاك إستانبول في كلِّ وقتٍ وحين، وكان يعلمُ ذلك القاصي والداني، وكانت تنتهزُ أيةَ فرصةٍ ولو كانت فرصةً يسيرةً لتدنيها من مقصدها، وشنَّ الحرب على الدولة العثمانية، واقتطاع شيءٍ من ممتلكاتها، وتعدّدت طُرُقها لتطويق غريمتها، والتي منها إرسالها الجواسيس لاستراق أخبار الجيش الهمايوني، والمعلومات العسكرية.
 - الجاسوس هو الشخص الذي يعملُ في الخفاء، أو تحت شعارٍ كاذب؛ ليحصل على معلومات عن العمليات العسكرية لدولة مُحاربة، بهدف إيصالها للعدو، ويُنذِرُ أن الجواسيس يعملون في وقت الحرب والسلم، ويحصلون على معلوماتٍ لتعزيز جبهة الدولة التي يتجسسون لحسابها، ولخدمة مصالحها السياسية والإستراتيجية.
 - الجاسوسية مسألة تحوي عددًا من التناقضات، في الوقت الذي يُظهر العاملون في أجهزة الاستخبارات وطنيتهم بقوة، ويُصدرون القوانين بأعلى العقوبات لمن ثبت تورطه في التجسس، ويتعنونه بالخيانة وإفشاء الأسرار الوطنية، نجدُهم في الوقت ذاته يُجنّدون عددًا من الأجانب، ويطلبون منهم ما يُحرّمون على مواطنيهم القيام به، وما ينطوي على خيانتهم لبلادهم، أو لإخوانهم في الدين، مُبرّرين ذلك بحجج واهية؛ كإنقاذ الأرواح، أو تحقيق السلام؛ لذا فمراعاة القيم العالمية في هذه الأنظمة الاستخباراتية مسألة مُخادعة، وليس لها وجود على أرض الواقع، فالتجسس مهنة غير أخلاقية في الأساس:
 - حسب الوثائق العثمانية التي تمَّ الرجوعُ إليها في هذا البحث: جهاز الاستخبارات

السريّة (البوليس السري)، هي وكالة حكوميّة وظيفتها كشف أعداء الدولة المزعومين، ومُراقبتهم واعتقالهم واستجوابهم سرّاً، وتجميع الاستخبارات، وتنفيذ مهام ونشاطات سريّة، حتى ولو كان ذلك بتجنيد الجواسيس، مع رصد مبالغ ثابتة بالميزانية لهذه الأعمال، ورُبما تقتضي الضرورة رصد مبالغ إضافية طارئة.

- ووفقاً للقضية المذكورة سلفاً، مَنْ يَتِمّ تجنيدهم للقيام بأمور التجسس هذه، وخيانة الأسرار الوطنية التي بين أيديهم، يكونون ممّن يملكون غريزة اللصوصيّة، وأخلاقاً سيّئة، وغالباً ما يتمّ إغراؤهم بالمال، وعددٍ من التسهيلات، حتى وإن كان من قبل الدّ أعداء بلادهم، والمنغمسين معهم في نيران حرب.

- يتضح أنه من الصعوبة التّثبت من حقيقة ما يقوله هؤلاء الجواسيس؛ لأنهم بحاجة إلى الكذب للنّجاة بأنفسهم، والتخلّص من الأخطار الكبيرة التي تُرافق تجسسهم، وطالما يطلّعون بخيانة أسرار بلاد ما، أو فريق يستهدفه، فإنهم قد يخونون أيضاً الجهة التي جنّدتهم، بعد ما اعتادوا على الخيانة؛ وهذا ما حدث مع المُتهم الرئيس: (أندوروشكا) في قضية الدراسة، حيث كان في البداية يتجسس في روسيا لصالح الدولة العثمانية، وعندما قبضت عليه السلطات الروسية في مدينة إسماعيل، صار يتجسس في الأراضي العثمانية لصالح روسيا.

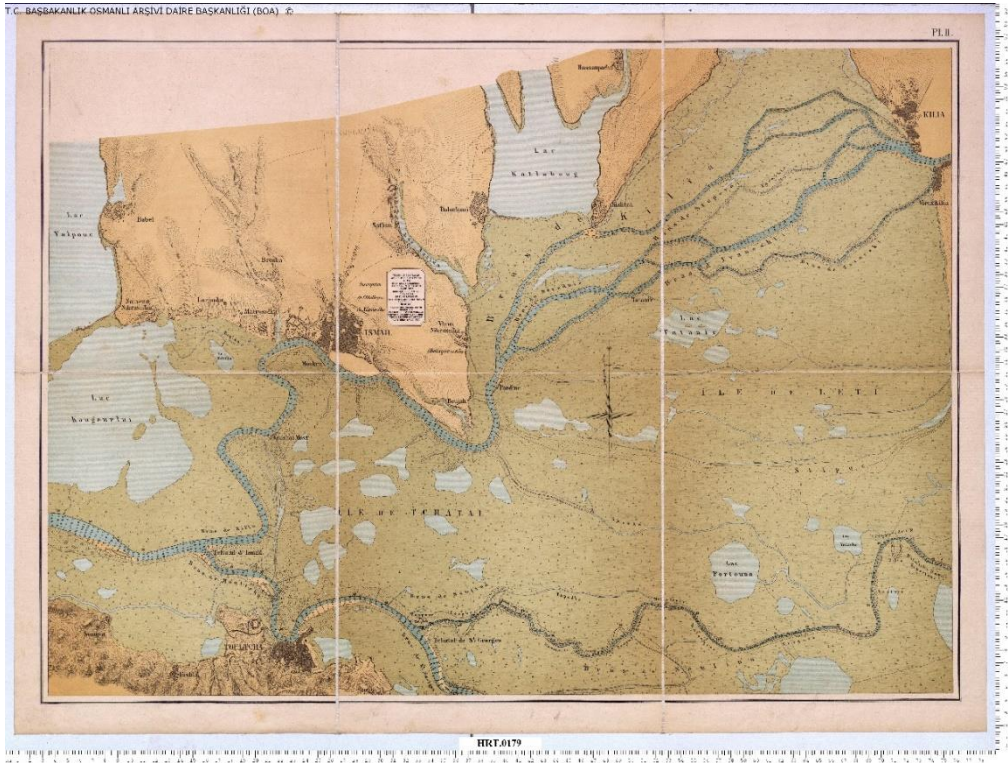
- رُبما يفتح البحث الذي بين أيدينا الباب لدراسة أخرى، تطرح بعض الأسئلة، مثل: هل يُمكن لوكالات الاستخبارات أن تعمل بشكل مستقِل بعيداً عن تجنيد الجواسيس، وجذب عُملاء لها من بلدان أخرى، عندما تُواجه تحديات عالمية؟! وهل هناك تجسس مشروع، أو مطلوب يساعد في التعامل مع تهديدات الحاضر والمستقبل؟



الملاحق

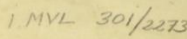
ملحق رقم (١)

خريطة مدينة إسماعيل

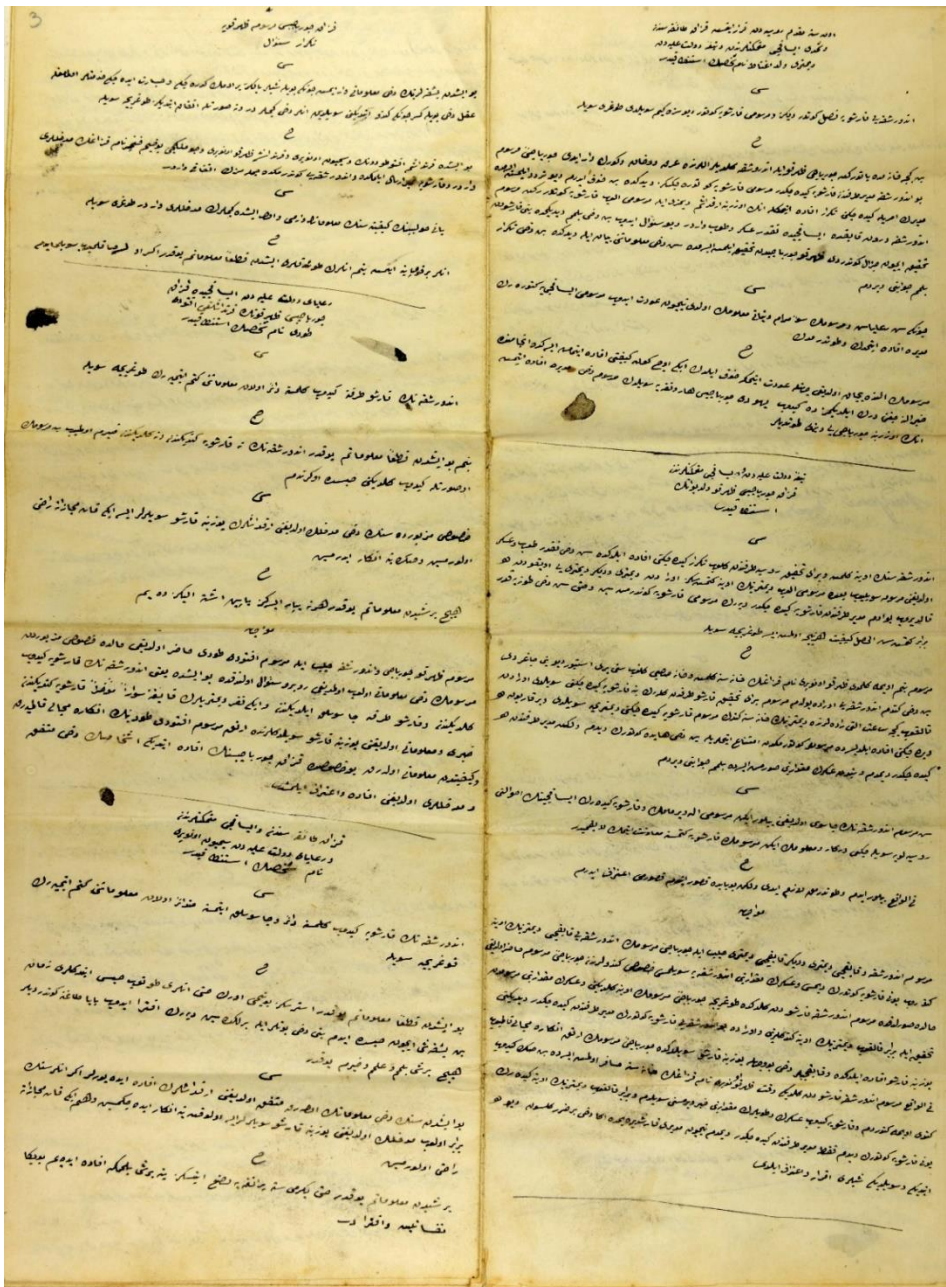


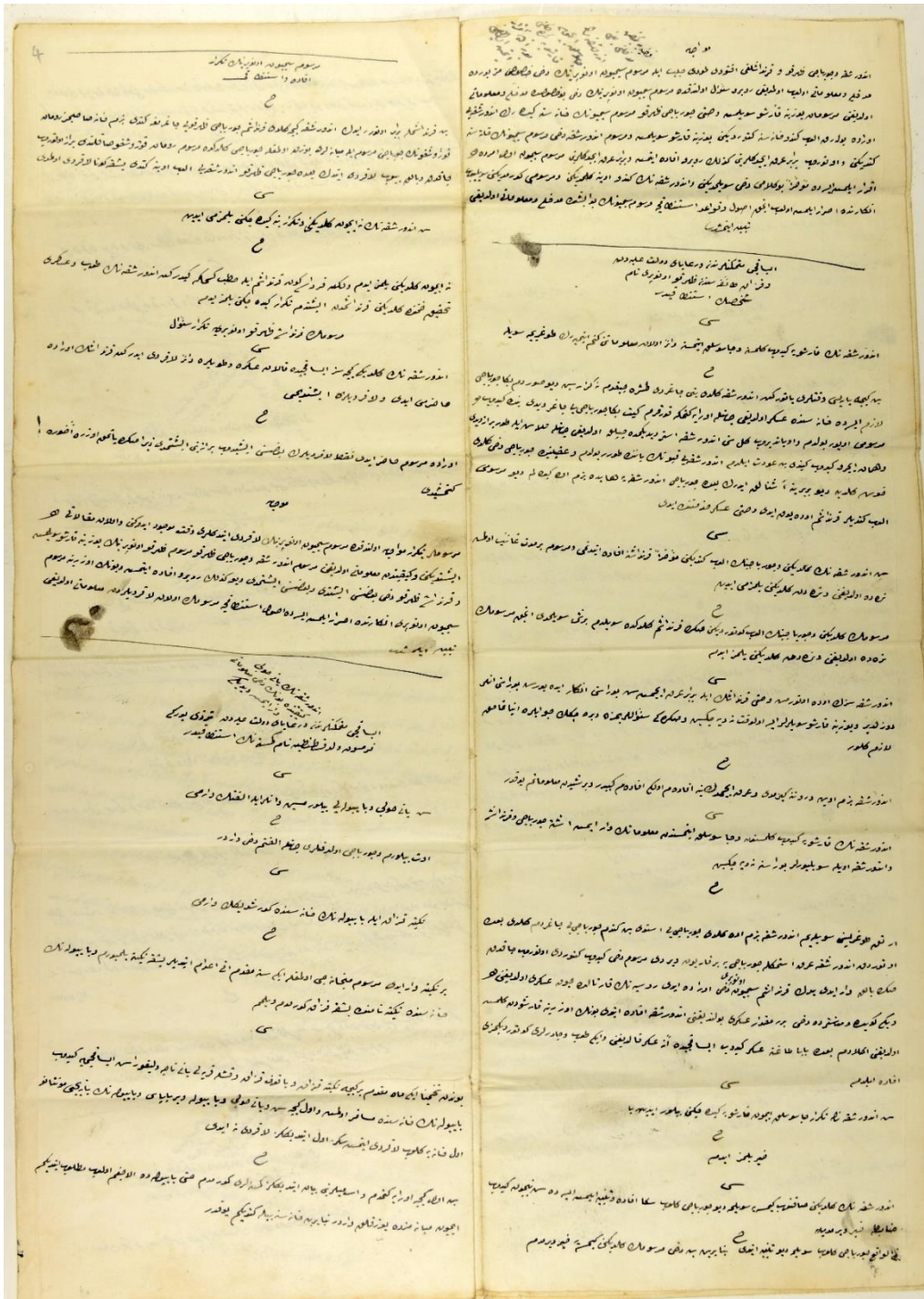
ADIGECEN: TRUK BASBAKANLIK, ARSIV BELGELERINE GORE OSMANLI KALELERJ, DEVLET ARSIVLERI GENEL MUDURLUGU, OSMANLI ARSIVI DAIRE BASKANLIGI, YAYIN NU: 144, ISTANBUL, 2016, P: 230.

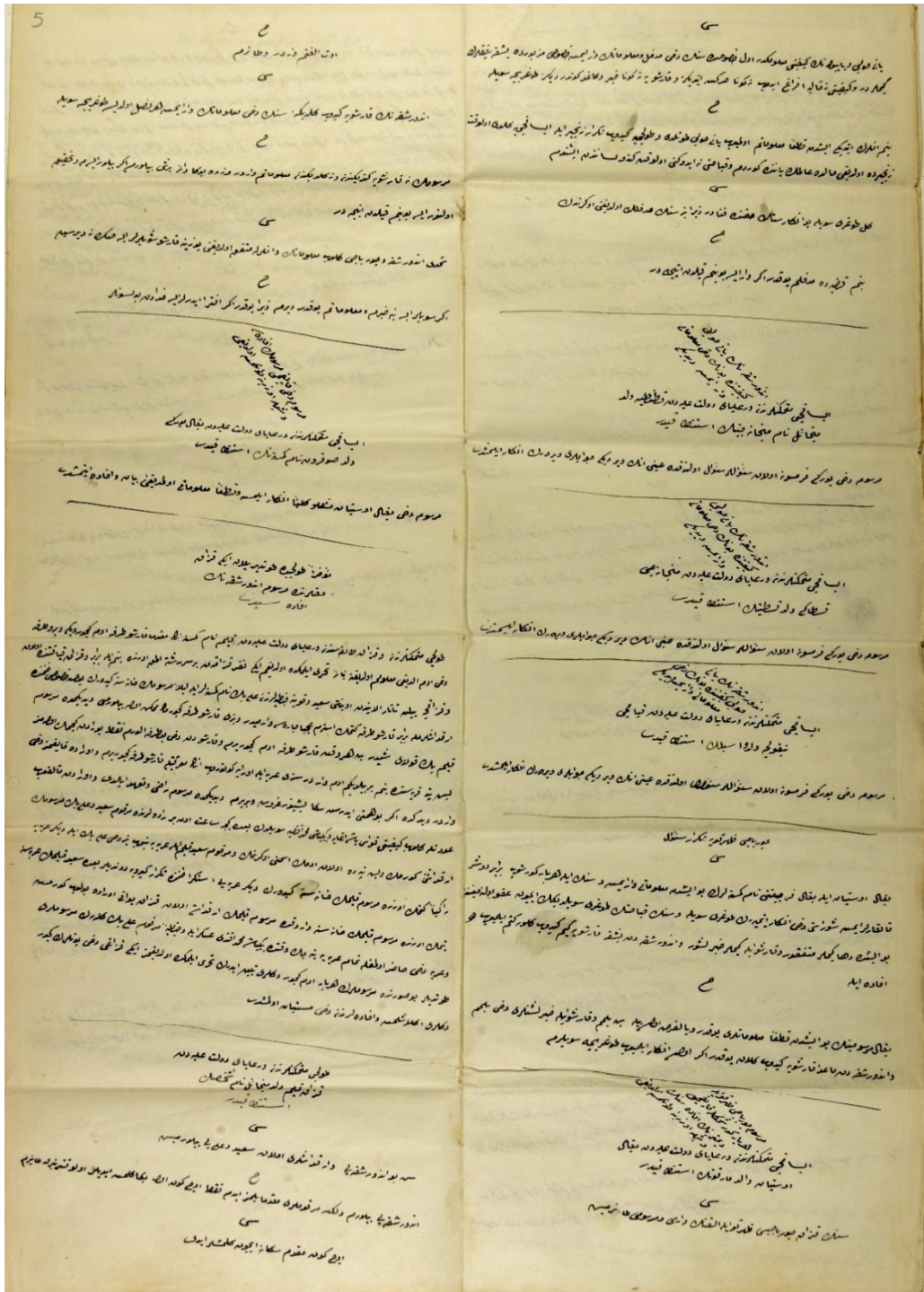
التحقيقات العثمانية في قضية تجسس لصالح روسيا

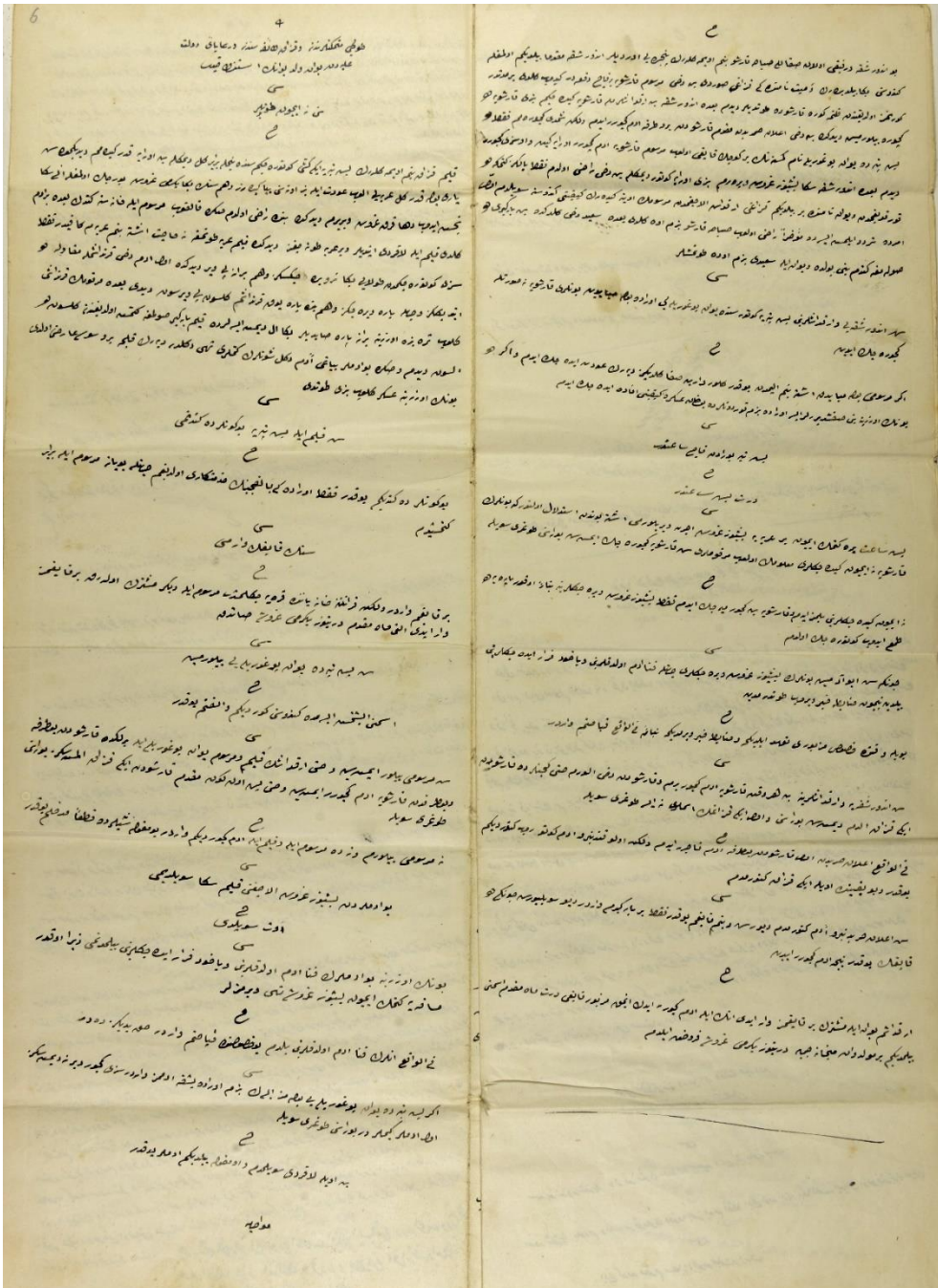


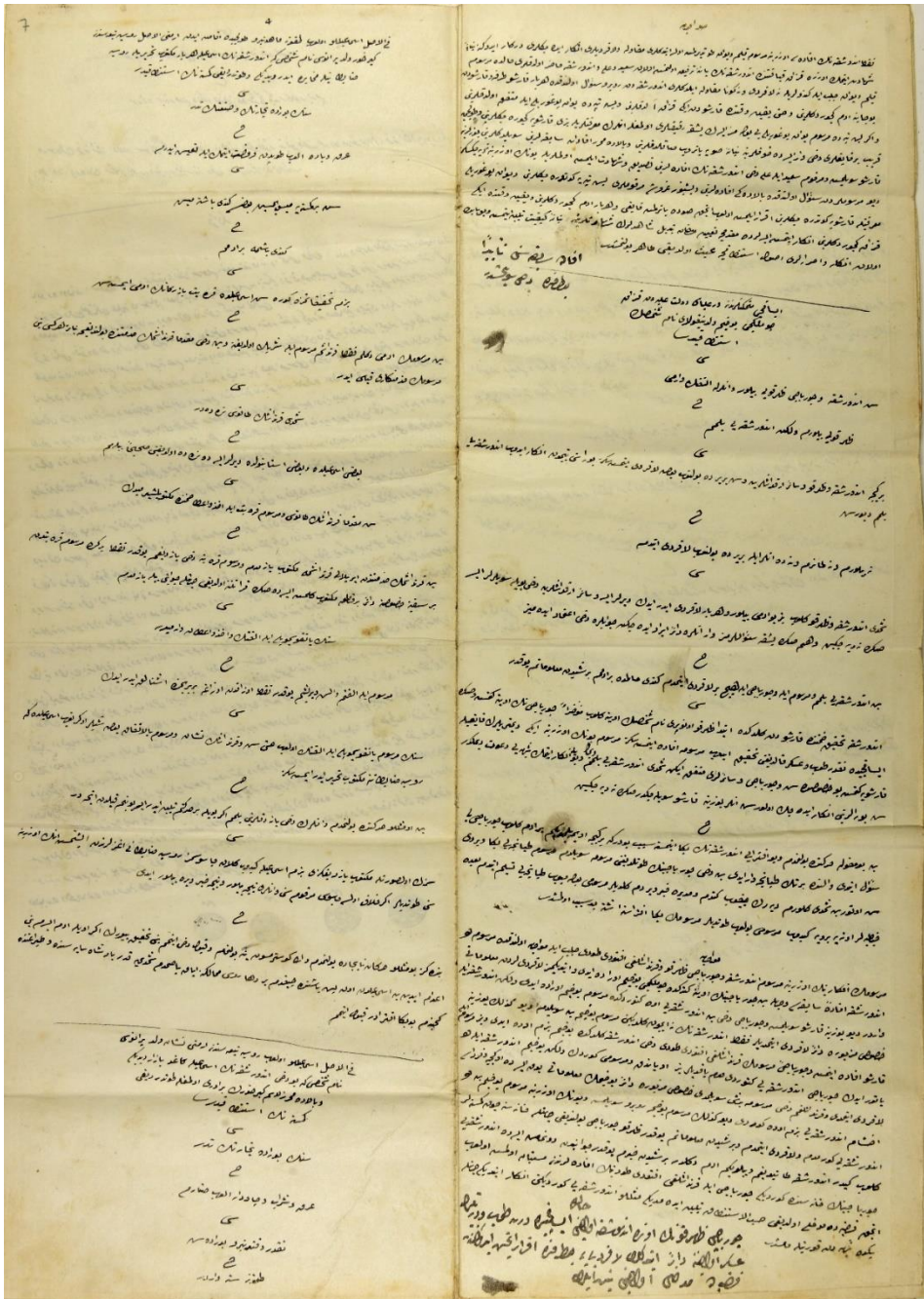
المصدر: الأرشيف العثماني، تصنيف 17, 18, 19, 20, 21, 22, 23 İ.MVL.301/12273













ملحق رقم (٣) خريطة قلعة طولجي



ADIGECEN:TRUK BASBAKANLIK, ARSIV BELGELERINE GORE OSMANLI KALELERJ, DEVLET ARSIVLERI GENEL MUDURLUGU, OSMANLI ARSIVI DAIRE BASKANLIĞI, YAYIN NU: 144, ISTANBUL, 2016, P: 226.

الهوامش

- (١) بطرس الأول (بطرس الأكبر) PETER THE GREAT (١٦٧٢-١٧٢٥م): قيصر روسيا، من أسرة رومانوف التي حكمت روسيا من عام ١٦١٣م إلى عام ١٩١٧م الذي تنازل فيه القيصر نيقولا الثاني عن الحكم بعد اندلاع ثورة فبراير من العام المذكور، وغدت روسيا في عهد بطرس الأول دولة أوروبية ذات شأن. عبد الحميد البطريق، عبد العزيز نوار، التاريخ الأوروبي الحديث، من عصر النهضة إلى أواخر القرن الثامن عشر، دار الفكر العربي، مدينة نصر، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ص ٢٤٦، ٢٦٢.
- (٢) محمد سهيل طقوس، تاريخ العثمانيين، من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، دار النفائس، المركز الإسلامي الثقافي، ص ٢٨٧.
- (٣) معاهدة بلغراد عام ١٧٣٩م: عقدت بين الدولة العثمانية وروسيا بعد فترة من الاضطرابات، حيث اتخذت روسيا حادثة مرور بعض قوزاق القرم من أراضيها حجة واحتلت ميناء أزاق، وغيرها من الثغور البحرية، لكن الدولة العثمانية تمكنت من إيقاف تقدم الروس، الذين كانوا قد احتلوا إقليم البغدان، ودخلوا مدينة ياش عاصمة هذا الإقليم، ومن جهة أخرى انتصرت الجيوش العثمانية على جيوش النمسا، التي أغارت على بلاد البوسنة والصرب، هذا الفوز حتم على روسيا توقيع معاهدة الصلح مع الدولة العثمانية عام (١١٥٢هـ/١٧٣٩م)، وفيه تعهدت روسيا بهدم قلاع ميناء أزاق وعدم تجديدها في المستقبل، وبعدم إنشاء سفن حربية أو تجارية بالبحر الأسود، وبأن ترد للدولة كل ما فتحته من أقاليم، وعرفت هذه المعاهدة بمعاهدة بلغراد. محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، ط ١، دار النفائس، بيروت، ١٩٨١م، ص ص ٣٢٢، ٣٢٣.
- (٤) الإمبراطورة كاترين الثانية: تزوجت الإمبراطور الروسي بطرس الثالث، ثم تربعت على عرش الإمبراطورية عقب الانقلاب الذي جرى ضد زوجها، والذي أدى إلى اغتياله، وامتدت فترة حكمها لروسيا مدة ٣٤ عاما (١٧٦٢م-١٧٩٦م)، أثبتت خلالها عظمتها ومآثرها على روسيا، ويعد المؤرخون العصر الكاتريني العصر الذهبي للإمبراطورية، حيث ازدادت قوتها العسكرية مما دفع الدول الأوروبية الغربية إلى الاعتراف بها كقوة عظمى إلى جانبها في العالم، وقد سلبت الكنيسة الأرثوذكسية أملاك كاترين، لكنها لم تتعرض لمعتقداتها احتراماً لشعور رعاياها الديني، وعلى الرغم من جنسيتها الألمانية أثبتت أنها أكثر حكام روسيا وطنية. زينب عصمت



- راشد، تاريخ أوروبا الحديث، من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر، ج ١، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ٣١٧: ٣٢٠.
- (٥) ميلاد المقري، تاريخ أوروبا الحديث ١٤٥٣ - ١٨٤٨م، ط ١، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ١٩٩٦م، ص ص ٢٤٠، ٢٤١.
- (٦) يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سلمان، ط ١، مج ١، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، إستانبول، ١٩٨٨م، ص ٦٢٣: ٦٢٦.
- (٧) وثائق الأرشيف العثماني التابع لرئاسة الجمهورية بإسطنبول، تصنيف المعاهدات: MHD.291، نسخ المعاهدات التي عقدت في تواريخ مختلفة مع روسيا ومنها معاهدة قينارجة وبلغراد وبرلين ونيش وباريس:
- (٨) فريد بك المحامي، المرجع السابق، ص ٣٦٠: ٣٦١.
- (٩) الأرشيف العثماني، تصنيف: HAT.174-7422، بتاريخ ١٢/٢٩-١٢٢٢هـ-١٨٠٨م، تحذير من السلطان محمود الثاني إلى الصدر الأعظم من تسرب الجواسيس وممن يبثون الأخبار الكاذبة.
- (١٠) مدينة إسماعيل: تقع على الضفة الشمالية من نهر الدانوب على الحدود بين أوكرانيا ورومانيا حيث ينقسم نهر الدانوب هنا إلى فرعين أصبحت المدينة تحت الحكم العثماني نتيجة حملتي بايزيد الثاني على كيلى وأكيرمان سنة ١٤٨٤. وكانت في تلك الفترة قرية تتارية صغيرة. وفي الحرب العثمانية - الروسية تمكن الجيش الروسي من الاستيلاء على إسماعيل بتاريخ ٢٦ سبتمبر ١٨٠٩ وأصبحت مدينة روسية بموجب معاهدة بوخارست سنة ١٨١٢، واضطر مسلمو المدينة إلى الهجرة إلى المناطق الأخرى من أراضي الدولة العثمانية.
- TRUK BASBAKANLIK, ARSIV BELGELERINE GORE OSMANLI KALELERJ, DEVLET ARSIVLERI GENEL MUDURLUGU, OSMANLI ARSIVI DAIRE BASKANLIGI, YAYIN NU: 144, ISTANBUL, 2016, P: 230.
- انظر ملحق رقم (١) ص ٥٢.
- (١١) فريد بك المحامي، المرجع السابق، ص ٣٦١: ٣٧٠.
- (١٢) أكمل الدين إحسان أغلو، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إسطنبول، ١٩٩٩، ص ص ٨٤، ٨٥.
- (١٣) الأرشيف العثماني، تصنيف: A.DVNS.MSR.MHM.d 010، دفتر المهمة، مصر، رقم

١٠، ص ٣٧٤، الحكم رقم ٨٦٥، بتاريخ ١٢/٢٩/١٢١٧هـ - ٢١/٤/١٨٠٣م، حكم إلى والي مصر وزيرى خسرو باشا دام إجلاله، وإلى أمير الأمراء الكرام محافظ الإسكندرية خورشيد دام إقباله وإلى أحد رجال الدولة العلية دفتر دار مصر خليل رجائي دام علوه، وإلى أمين جمارك الإسكندرية ورشيد محمد صالح دام مجده لتوفير فلز البارود المتوفر في مصر وإرساله إلى دار السعادة؛ تصنيف: A.DVNS.MSR.MHM.d 011، دفتر المهمة رقم ١١، مصر، الصفحة ٤٣، الحكم رقم ١١٧، بتاريخ ٣٠/١٠/١٢١٩هـ - ٣١/١/١٨٠٥م إلى والي مصر وزيرى خورشيد أحمد باشا أدام الله إجلاله لتوفير فلز البارود المتوفر في مصر وإرساله إلى دار السعادة؛ تصنيف: A.DVNS.MHM.12/133-263، دفتر المهمة رقم ١٢، مصر، الصفحة ١٣٣، الحكم رقم ٢٦٣، بتاريخ ٢٩/٥/١٢٢٥هـ - ١/٧/١٨١٠م، حكم موجه من السلطان إلى والي مصر وزيرى محمد علي باشا أدام الله إجلاله للمشاركة في حرب الدولة العلية ضد روسيا وإعلان النفير العام.

(١٤) آمال السبكي، أوروبا في القرن التاسع عشر، فرنسا في مئة عام، ط ١، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة، ١٩٨٥م، ص ١٥٥: ١٩٦.

(١٥) فريد بك المحامي، المرجع السابق، ص ٤١٧.

(١٦) أوزتونا، المرجع السابق، ج ٢، ص ١٠.

(١٧) الأرشيف العثماني، تصنيف: A.DVNS.NHM. 1-4، معاهدة أدرنه الأولى التي أنهت الحرب الروسية العثمانية التي اندلعت عام ١٨٢٨م.

(١٨) أوزتونا، المرجع السابق، ج ٢، ص ١٦؛ بيبير رنوفان، تاريخ العلاقات الدولية ١٨١٥-١٩١٤، ترجمة جلال يحيى، ط ٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١م، ص ١٣١.

(١٩) بالمرستون: هنري جون تميل (١٧٨٤-١٨٦٥م) سياسي إنجليزي، وتولى رئاسة وزارة الخارجية أوقف زحف جيوش محمد علي إلى الأستانة، كانت له جهود حازمة في حرب القرم (١٨٥٤-١٨٥٦م)، وكان من أهم الداعمين لليونانيين في بريطانيا، لعب دورًا بارزًا في ولادة اليونان كدولة ووصف بأنه المخطط لرسم الحدود اليونانية، حيث استطاع أن ينتزع استقلال اليونان من الدولة العثمانية، علي مولا، الموسوعة العربية الميسرة، ط ١، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٠م، ص ٦١٥؛ أحمد إبراهيم ناطق العبيدي، محمد علي برهان حسين، دور بالمرستون في ترسيم الحدود اليونانية ١٨٣٠-١٨٣٢م، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد (٦٧)، كانون الأول ٢٠١٨م، ص ٣، ص ٣.



٢٢.

(٢٠) إحسان أغلو، المرجع السابق، ص ٢٥٩؛ محمد مصطفى صفوت، محاضرات في المسألة الشرقية ومؤتمر باريس، معهد الدراسات العربية العالية، جامعة الدول العربية، ١٩٥٨، ص

٢١.

(٢١) فريد بك المحامي، المرجع السابق، ص ص ٤٩٠، ٤٩١.

(٢٢) هاشم صالح التكريتي، المسألة الشرقية المرحلة الأولى ١٧٧٤-١٨٥٦، بغداد ١٩٩٠، ص ص ١٦٦، ١٦٧.

(٢٣) نفسه، ص ١٧٠.

(٢٤) فريد بك المحامي، المرجع السابق، ص ٤٩٢.

(٢٥) علي حسون، العثمانيون والروس، ط ١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٢م، ص ١٠٨.

(٢٦) عبد العزيز محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سورية ١٨٦٤-١٩١٤، دار المعارف، د. ت، ص ص ٣٠، ٣١.

(٢٧) فريد بك المحامي، المرجع السابق، ص ٤٩٢: ٤٩٦.

(٢٨) معاهدة باريس ٣٠ مارس ١٨٥٦م: أجبرت روسيا على توقيعها في باريس بحضور كل من فرنسا وانجلترا والدولة العثمانية والنمسا وبروسيا، وخسرت بمقتضاها الميزات التي كانت قد حصلت عليها في معاهدة كوتشك قينارجة ١٧٧٤م؛ وأهمها حماية الأرثوذكس، ومعاهدة أدرنه ١٨٢٩م؛ وأهمها النفوذ المتفوق في الإمارات الدانوبية، ووضعت معاهدة باريس الإمبراطورية العثمانية تحت الضمانة الجماعية للدول الموقعة عليه، والتي تعهدت باحترام استقلال الدولة العثمانية وكمالها الإقليمي، كما نصت المعاهدة على: أن يخلي الروس قارص وأن يتم تسليمها إلى الدولة العثمانية، ويخلي الحلفاء القرم ويعيدونها إلى روسيا، وأن تعود قوات الحلفاء إلى أوطانها خلال أقصر مدة ممكنة، وكذلك تتسحب روسيا من دلتا الطونة، وتعيد بساريا الجنوبية مع مركزها إسماعيل إلى إمارة بغداد (مولدافيا) التابعة للدولة العثمانية، كذلك تنتقل جزر بيلان إلى الدولة العثمانية، وأهم مادة في المعاهدة هي جعل البحر الأسود منطقة محايدة، وغير عسكرية، وأن تسحب روسيا سفنها العسكرية من البحر الأسود وتنقلها إلى بحر البلطيق، لكن ذلك لم يؤثر على الدولة العثمانية التي كانت تستطيع وقت الحرب أن تمرر أسطولها من بحر مرمره والمضيق إلى البحر الأسود خلال ساعات، أما روسيا فلن تتمكن بأي حال من الأحوال من وضع سفن حربية أو إدخالها إلى البحر الأسود، وهذا يعني أن البحر الأسود كان تحت السيطرة العثمانية، لذا أعطت هذه المعاهدة للدولة العثمانية قدرا من الامتيازات. رونفان، المرجع

السابق، ص ص ٣٤٠، ٣٤١؛ أوزتونا، المرجع السابق، ج ٢، ص ص ٥٧، ٥٨.

(29) TRUK BASBAKANLIK, ARSIV BELGELERINE GORE OSMANLI, DA ISTIHBARAT, DEVLET ARSIVLERI GENEL MUDURLUGU, OSMANLI ARSIVI DAIRE BASKANLIGI, YAYIN NU: 148, ISTANBUL, 2017, p: 5.

(30) Ibid.

(31) Ibid, p: 6.

(٣٢) جم سلطان (١٤٥٩ - ١٤٩٥م): هو أمير عثماني ابن السلطان محمد الفاتح، وأخو السلطان بايزيد الثاني، وبعد موت والده تنازع مع أخيه المذكور على العرش، وكان حاكمًا في القرمان، وحاول الأمير جم الصلح مع أخيه بشرط إقطاعه بعض الولايات، لكن السلطان رفض هذا الطلب منعا لانقسام الدولة، فأرسل الأمير جم إلى رئيس رهبان جزيرة رودس، يطلب مساعدته، فقبلوه عندهم بالجزيرة، وقابله أهلها بكل احترام، ثم وصلت إلى الجزيرة وفود السلطان بايزيد للاتفاق مع رئيس الرهبان على التحفظ على أخيه جم عندهم مقابل عدم تعرض السلطان لاستقلال جزيرتهم مدة حياته ومبلغ من المال سنويًا، فقبل رئيسهم، وظل ينتقل من مكان إلى آخر في حالة شببيهه بالأسر خارجًا عن بلاده، إلى أن توفي في عام ١٤٩٥م في مدينة نابولي، ودفن في بلدة جاييت بإيطاليا، ثم نقلت جثته بعد ذلك بمدة إلى البلاد العثمانية، ودفن في مدينة بورصة في قبور أجداده. فريد بك المحامي، المرجع السابق، ص ١٨٠: ١٨٢.

(33) TRUK BASBAKANLIK, ARSIV BELGELERINE GORE OSMANLI, DA ISTIHBARAT, DEVLET ARSIVLERI GENEL MUDURLUGU, OSMANLI ARSIVI DAIRE BASKANLIGI, YAYIN NU: 148, ISTANBUL, 2017, p: 6.

الأرشيف العثماني، تصنيف: TS.MA. e.745/41، عام ١٨٠٨م، تقرير عن أوضاع جزيرة

رودس إلى جم سلطان.

(٣٤) الأرشيف العثماني، تصنيف DH.EUM.5.Şb.65/15-5، تقرير لموقع التدابير المطلوبة لمكافحة التجسس بوكالة القيادة العليا بالجيش العثماني الهمايوني عن طرق تسرب الأخبار عبر الحدود.

(٣٥) نفسه، تصنيف I.MMS.191/10، بتاريخ ١ ذو القعدة ١٣٣٢هـ / ٢١ سبتمبر ١٩١٤م، مذكرة أعضاء شورى الدولة بدائرة التنظيمات بخصوص لائحة المواد القانونية المضافة إلى قانون العقوبات العسكري المطبق على مرتكبي جريمة إفشاء الأسرار العسكرية والتجسس



والخيانة الحربية.

(٣٦) نفسه، تصنيف I.DH.606/42215، بتاريخ ٢٨ شوال ١٢٨٦هـ / ٣٠ يناير ١٨٧٠م، مذكرة مقام الصدارة السامية إلى السلطان بخصوص اعتماد بعض المصاريف المؤقتة والطارئة لأعمال الاستخبارات.

(٣٧) نفسه، تصنيف A.MKT.MHM.385/67-2، بتاريخ ٢٨ محرم ١٢٨٤هـ / ١ يونيو ١٨٦٧م، مذكرة المأمورين السريين إلى مقام الوكالة العليا بخصوص مصاريف التحقيقات السرية الطارئة حول الشؤون السياسية خلال عدة أشهر.

(٣٨) الأرشييف العثماني، تصنيف I.DH.286/17758-1، بتاريخ ١ صفر ١٢٧٠م / ٣ نوفمبر ١٨٥٣م، مذكرة مجلس الشورى العسكري إلى مقام قيادة الجيش.

(٣٩) نفسه، تصنيف I.DH.286/17758-2، بتاريخ ٣ صفر ١٢٧٠م / ٥ نوفمبر ١٨٥٣م، مذكرة من مقام قيادة الجيش إلى مقام الصدارة السامية؛ تصنيف I.DH.286/17758-3، بتاريخ ٨ صفر ١٢٧٠م / ١٠ نوفمبر ١٨٥٣م، مذكرة مقام الصدارة السامية إلى السلطان.

(٤٠) انظر ملحق رقم (٢) ص ٥٣.

(٤١) قلعة إساقجي: بناها العثمانيون على ساحل نهر الدانوب لأهمية المنطقة من الناحية الإستراتيجية، وقد وقعت هذه القلعة أكثر من مرة بيد الروس ثم النمساويين في الحروب التي حدثت بين الدولة العثمانية وبين هاتين الدولتين وفي عهد سليم الثالث استولى عليها الروس ثم استعادها العثمانيون بموجب معاهدة ياش.

TRUK BASBAKANLIK, ARSIV BELGELERINE GORE OSMANLI KALELERJ, DEVLET ARSIVLERI GENEL MUDURLUGU, OSMANLI ARSIVI DAIRE BASKANLIGI, YAYIN NU: 144, ISTANBUL, 2016, P: 235.

ويلاحظ أنه ورد اسم القلعة مرات كثيرة في الوثائق؛ والقلعة في مفهوم الوثائق هي المدينة، وتسمى أيضا المحمية والمحروسة.

(٤٢) قلعة طولجي تقع إلى الجهة الغربية من رومانيا على فرع خضر الياس من نهر الدانوب. تأسست المدينة لأول مرة في القرن السابع قبل الميلاد وعرفت بـ "أيجيوسوس"، ومع انقسام الإمبراطورية الرومانية باتت طولجي جزءا من أراضي الإمبراطورية الرومانية الشرقية. ثم فتحت من قبل العثمانيين خلال فتحهم بلدان أوروبا عام ١٤١٩.

TRUK BASBAKANLIK, ARSIV BELGELERINE GORE OSMANLI KALELERJ, DEVLET ARSIVLERI GENEL MUDURLUGU, OSMANLI ARSIVI DAIRE

BASKANLIGI, YAYIN NU: 144, ISTANBUL, 2016, P: 226.

انظر ملحق رقم (٣) ص ٦٠.

(٤٣) الأرشيف العثماني، تصنيف I.MVL.301/12273-17، بتاريخ ٢١ ربيع الأول ١٢٧٠هـ/

٢١ ديسمبر ١٨٥٣م، التحقيق في قضية التجسس المتهم فيها المدعو اندوروشكا ولد غانجو

من رعايا الدولة العلية المقيم في ايساقجي.

(٤٤) نفسه، تصنيف I.MVL.301/12273-18، تابع التحقيقات قضية التجسس المتهم فيها

المدعو اندوروشكا ولد غانجو من رعايا الدولة العلية المقيم في ايساقجي.

(٤٥) نفسه، تصنيف I.MVL.301/12273-19، تابع التحقيقات قضية التجسس المتهم فيها

المدعو اندوروشكا ولد غانجو من رعايا الدولة العلية المقيم في ايساقجي.

(٤٦) نفسه، تصنيف I.MVL.301/12273-20، تابع التحقيقات قضية التجسس المتهم فيها

المدعو اندوروشكا ولد غانجو من رعايا الدولة العلية المقيم في ايساقجي.

(٤٧) نفسه، تصنيف I.MVL.301/12273-21، تابع التحقيقات قضية التجسس المتهم فيها

المدعو اندوروشكا ولد غانجو من رعايا الدولة العلية المقيم في ايساقجي.

(٤٨) نفسه، تصنيف I.MVL.301/12273-22، تابع التحقيقات قضية التجسس المتهم فيها

المدعو اندوروشكا ولد غانجو من رعايا الدولة العلية المقيم في ايساقجي.

(٤٩) نفسه، تصنيف I.MVL.301/12273-23، تابع التحقيقات قضية التجسس المتهم فيها

المدعو اندوروشكا ولد غانجو من رعايا الدولة العلية المقيم في ايساقجي.

(٥٠) نفسه.

(٥١) نفسه، تصنيف I.MVL.301/12273، بتاريخ ٢٦ جمادى الثانية ١٢٧٠هـ / ٢٤ فبراير

١٨٥٤م، مذكرة مقام الصدارة السامية إلى السلطان حول ثبوت ارتكاب جريمة التجسس على

عدد من الأشخاص.



المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق غير المنشورة:

(أ) وثائق الأرشيف العثماني التابع لرئاسة الجمهورية بإسطنبول:

- A.DVNS.MHM.
- 12/133-263
- A.DVNS.MSR.MHM.d
- 010
- A.DVNS.MSR.MHM.d
- 011
- A.DVNS.NHM.
- 1/4
- A.MKT.MHM.
- 385/67-2
- DH.EUM.5.Şb
- 65/15-5
- HAT
- 174/7422
- i.DH
- 286/17758-1
- 286/17758-2
- 286/17758-3
- 606/42215
- İ.MMS
- 191/10
- İ.MVL
- 301/12273-17
- 301/12273-18
- 301/12273-19
- 301/12273-20
- 301/12273-21
- 301/12273-22
- 301/12273-23

- 301/12273

MHD

- 291

TS.MA. e.

- 745/41

(ب) الكتب الوثائقية المحفوظة بدائرة الأرشيف العثماني:

- TRUK BASBAKANLIK, ARSIV BELGELERINE GORE OSMANLI KALELERJ, DEVLET ARSIVLERI GENEL MUDURLUGU, OSMANLI ARSIVI DAIRE BASKANLIGI, YAYIN NU: 144, ISTANBUL, 2016.
- TRUK BASBAKANLIK, ARSIV BELGELERINE GORE OSMANLI'DA ISTIHBARAT, DEVLET ARSIVLERI GENEL MUDURLUGU, OSMANLI ARSIVI DAIRE BASKANLIGI, YAYIN NU: 148, ISTANBUL, 2017.

ثانيًا: المراجع العربية:

- إحسان أغلو، أكمل الدين، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إسطنبول، ١٩٩٩.
- أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سلمان، ط ١، مج ١، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، إسطنبول، ١٩٨٨م.
- البطريق، عبد الحميد، وعبد العزيز نوار، التاريخ الأوروبي الحديث، من عصر النهضة إلى أواخر القرن الثامن عشر، دار الفكر العربي، مدينة نصر، القاهرة، 1997م.
- التكريتي، هاشم صالح، المسألة الشرقية المرحلة الأولى ١٧٧٤-١٨٥٦، بغداد ١٩٩٠.
- حسون، علي، العثمانيون والروس، ط ١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٢م.
- راشد، زينب عصمت، تاريخ أوروبا الحديث، من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر، ج ١، دار الفكر العربي، القاهرة.
- رنوفان، بيبير، تاريخ العلاقات الدولية ١٨١٥-١٩١٤، ترجمة جلال يحيى، ط ٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١م.
- صفوت، محمد مصطفى، محاضرات في المسألة الشرقية ومؤتمر باريس، معهد الدراسات العربية العالية، جامعة الدول العربية، ١٩٥٨.
- طقوس، محمد سهيل، تاريخ العثمانيين، من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، دار النفائس،



المركز الإسلامي الثقافي.

- العبيدي، أحمد إبراهيم ناطق، محمد علي برهان حسين، دور بالمرستون في ترسيم الحدود اليونانية ١٨٣٠-١٨٣٢م، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد (٦٧)، كانون الأول ٢٠١٨م.
- عوض، عبد العزيز محمد، الإدارة العثمانية في ولاية سورية ١٨٦٤-١٩١٤، دار المعارف، د. ت.
- فريد بك المحامي، محمد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، ط ١، دار النفائس، بيروت، ١٩٨١م.
- المقرحي، ميلاد، تاريخ أوروبا الحديث ١٤٥٣-١٨٤٨م، ط ١، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ١٩٩٦م.
- مولا، علي، الموسوعة العربية الميسرة، ط ١، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٠م.



Middle East Research Journal



Refereed Scientific Journal (Accredited) Monthly
Issued by Middle East Research Center

Forty-eighth year - Founded in 1974



Vol. 79 September 2022

Issn: 2536-9504

Online Issn :(2735-5233)